مجلة منتدى التوحيد

العدد الثاس
1430

التحدي الأعظم

بقلم الأستاذ bellal

أسطورة "ثورية ما قبل الحياة"!! بقلم الأستاذ أبو الفداء

شمس وقمر! بقلم قرآن الفجر

إثبات النبوات .. بقلم د. elserdap

المقامة اللاأدرية بقلم الأستاذ: عبد الإله الفابزي

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

مجلة منتدى التوحيد

مجلة دورية تصدر كل شهر

تأسست عام

١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م

تصدر عن موقع

منتدى التوحيد

www.eltwhed.com

العدد الثامن

شعبان ١٤٣٠ هـ

فريق التحرير

مراقب ٢

عبدالإله الفايزي

muslimah

قرآن الفجر

فريق التصميم

أبو عمر الأنصاري

هاني

المراسلات

altwhed_com@yahoo.com

مقدمة العدد	٣
هدي النبي ﷺ في تعليم العقيدة (٢)	٥
المقامة اللاأدرية	٧
أسطورة شوربة ما قبل الحياة	٩
لن يخدعونا	١٢
لا أعلم هويتي (٤)	١٤
التحدي الأعظم	٢٢
شمس وقمر	٣٠
الأدلةُ القرآنيةُ على حجيةِ السنة النبوية (٥)	٣٨
إثبات النبوات	٤٢
الأخذ المعرفي عبر الشبكة العنكبوتية (ضوابطه – فوائده – مزالقه)	٤٤

WWW.ELTWHED.COM

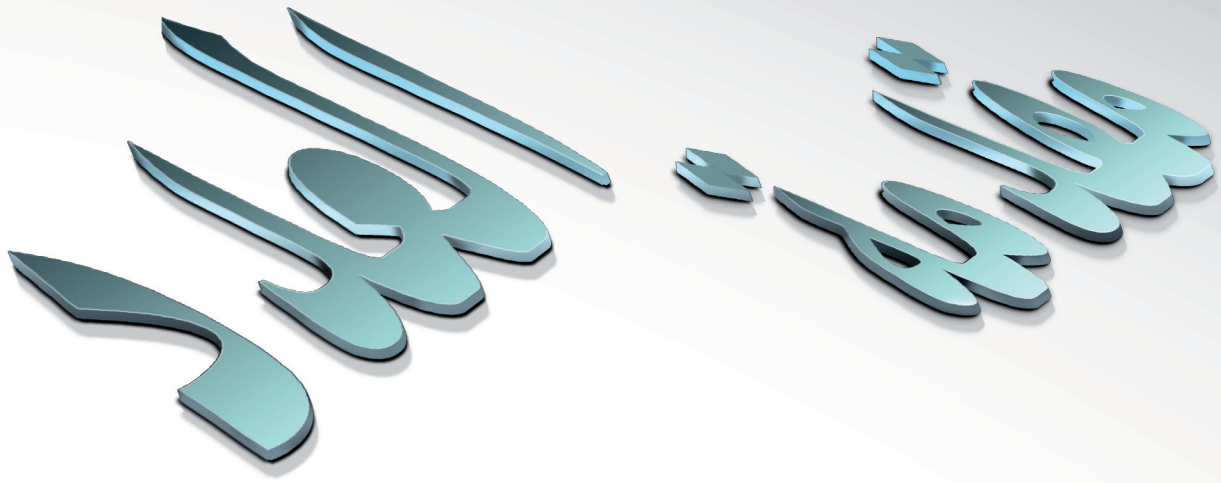

لم يزل أعداء التجديد في ممانعة من قبول الطارئ عليهم، وهذا الرفض يتجدد لا على أنه جديد، وإنما على أنه إرث قديم، والجديد الذي يفرض نفسه بأفضليته بالتجربة لا يجوز رده ولا مقاومته، متى ما تبين أنه لا غبار عليه ولا خلل فيه، أما الجديد فهو الإسلام الذي جدّ وطرأ على مجتمع مكة الوثني، وهو الإسلام الذي لا زال يطرأ كل يوم على بيت مدر أو وبر، في مشارق الأرض ومغاربها ليلقى الممانعة والرجعية ذاتها..!

إن ممانعة المجتمع المكي ورفضه للدين الجديد أهون وأكثر واقعية من ممانعة المجتمع الغربي اليوم وما ينهج منهجه في رد دين الإسلام! ومرد تلك المفاضلة بين الكُفرين، يعود إلى أمرين:

الأول: أن المجتمع المكي يستقبل جديداً لا عهد له به ولا تجربة ولا تاريخ يشهد له، فما الذي يضمن لهم أن لا يكون هذا الطارئ مستتر بستار الدين ليختل به الدنيا؟ وهذا منطق وإن كان خطأً ومرفوضاً إلا أنه أقوم شيئاً قليلاً من موقف المجتمعات الغربية اليوم التي يطرأ عليها الإسلام ومعه عهد مضى وتجربة مشهودة وتاريخ مجيد.

الثاني: أن قريشاً كانت في منزلة عالية وقول مسموع عند العرب، ووسائل اتصالها بدائية مما يجعل من أفق الانفتاح على هذا الجديد ضيقاً وحاداً، أما الغرب اليوم فعنده من وسائل الاتصال والاطلاع والاستقراء ما لم يكن من قبل، وعنده من الدعاوى العريضة تحت مظلة الانفتاح والتعايش وقبول الآخر ما يجعل ممانعته ورفضه لهذا الدين تناقض لا تفسير له إلا أن مبادئه المعلنة ليست سوى أنبوب للتصدير وليس للاستيراد، ليُلزم الآخر بفرضيات الانفتاح والتعايش وتكون النتيجة قبول مالدى الغرب دون أن يلتزم الآخر بقبول ما لديهم!

أما الممانعة فهي من المضحكات ومن المشاهد الدافعة للسخرية إذ منذ عهدها الأول إلى اليوم لم تتبدل وسيلة التشكيك بمعتمد هذا الدين وأحد معجزاته، لتقول منذ العهد الأول أن القرآن الذي يتلوه محمد -صلى الله عليه وسلم- إنما هو أساطير الأولين! أو هو قول تعلمه هذا

الفصيح العربي من الراهب الأعجمي! ولكنه مع ذلك معجزة تخلب ألباب الفصحاء!! ولئن عذرنا كفار قريش بقولهم أول الأمر عن هذا القرآن المعجز أنه أساطير الأولين فكيف نعذر مستشرقي أوروبا في القرن الماضي وهم لا يزالون يُرددون هذه التشكيكات؟! ووجه السخرية أن مصدر هذا التشكيك صاحب الكيد الضعيف إبليس، ومنه استمدت هذه الفكرة وبضعفه بقيت تتردد وبقي جنده المخذولون لا يجدون عنها بديلاً رغم عجزها عن أن تقف في وجه إعجاب سامعيه له..!

أما القرآن الكريم فمعجزته لم تقف عند قوة البيان في آياته، بل تعدته إلى قوّة الثبات رغم تغير الأزمنة، وقدرة التغير المناسب لكل الأزمنة! لا على وجه التبديل بل على وجه المنفعة المحققة من آياته وهديه، فلم يكن هذا القرآن هادياً للأمور القيمة التي قد تتبدل قيمتها مع الزمن بل جاء النص بخلاف ذلك، نصاً على أن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فكلما تجددت القيمة في فضيلة تُناسب زماناً أو مكاناً وجدت أن القرآن هادياً إليها بخصوصيتها الزمانية أو المكانية يهدي به الله من اتبع رضوانه! فتجد كل جيل يفهم من القرآن فهماً مزيداً على من قبلهم يأخذهم في سبل التربية والهداية لما يُناسب زمانهم ويهدي لذلك أقواماً يصطفيهم لأنه أراد بهم خيراً ففقههم، ومن يُرد الله به خيراً يفقّه في الدين.

ولا تقف معجزة القرآن عند حد البلاغة والهدى بل تتعداها إلى معجزة الحفظ التي تعهد الله بها في قوله سبحانه:‹‹إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون››، وجعل سبيل ذلك الحفظ وسببه في عباده المؤمنين، فندبهم إلى حفظ كتابه، ثم جزاهم على ذلك الجزاء الأوفي، ثم اصطفاهم بالمثوبة، ثم جعل من خصائص هذا القرآن أنه يتفلت من صدور حفاظه مالم يتعاهدوه، ليكون ذلك سبباً في العناية به والمحافظة عليه، وتحقيق وعد الله بحفظه، وهذا والله أعجب تحدي رأيته، إذ يشاء الله جل في علاه أن يكتب على هذا القرآن التفلت من صدور حفاظه، ويقطع عهداً بنص آياته أنه سيحفظه، فيبقى رغم التفلت من الصدور محفوظاً لا يضيع ولا يُنسى!

فمتى سيرعوي أولئك المعاندون، وينتهون عن ترديد تفاهات هذا التشكيك بعد أن خابت بها أسلافهم من قبل، وليعلموا أنما هم وكتاب الله ككبش استعظم نفسه بطول قرنيه، واشتهى أكل شجرة في رأس جبل فأعياه الصعود إليها، فأوهمته نفسه المخدوعة بعظمة بدنها أن السبيل إلى تلكم الشجرة بنسف الجبل، فما كاد يكتمل انقداح هذا الرأي في عقله إلا وقد بدأ الخطى إلى الوراء لينطح الجبل! ونطحة أو نطحتين، فإذا الجبل ينشد السماء أن تنهمر لتغسل عنه آثار المُخِّ والدم!

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم العقيدة (2)

بقلم الشيخ د. عمر بن عبد الله المقبل
الأستاذ المساعد بقسم السنة كلية الشريعة وأصول الدين جامعة القصيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

فقد روى الشيخان من حديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! ثم سار ساعة، ثم قال: «هل تدري ما حق الله على العباد؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»، ثم سار ساعةً، ثم قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم! قال: «أن لا يعذبهم».

وفي هذا الموقف، تتجلى لنا بعض المعاني في هديه صلى الله عليه وسلم في تعليم العقيدة، منها:

١ ـ اغتنامه صلى الله عليه وسلم للفرص في إيصال معاني التوحيد لأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم، حتى ولو كان ذلك في حال ركوب الدابة!

وهكذا شأن الداعية الموفق، فلا ينفك عن الدعوة إلى التوحيد في جميع أحواله: حضراً وسفراً، راكباً وماشياً، صحيحاً ومريضاً، وستأتي وقفات مستقلة ـ إن شاء الله ـ مع بعض المواقف التي تجلي حرصه على الدعوة في هذه الأحوال من حياته صلى الله عليه وسلم.

إن من تأمل هذا الموقف مع معاذ، وموقف نبي الله يوسف في دعوة السجناء، وقبلهم نوحٌ ـ عليهم جميعاً الصلاة والسلام ـ في دعوته لابنه حتى آخر لحظة من حياة ابنه ـ أدرك جيداً أن الدعوة هي وظيفة لا تقبل التوقف، وأنه لا يمنعهم منها مانع، فإن حيل بينه وبينها بقلم أو لسان، كان ثباته عليها، دعوةً بذاتها، خاصةً في الأزمان والأحوال التي يكثر فيها الجهل، والناكصون على أعقابهم، والمهونون من شأن الدعوة إلى التوحيد، بأعذار كثيرة معروفة.

٢ ـ التشويق لسماع واستيعاب ما يراد طرحه من مسائل مهمة، كمسائل الاعتقاد، وهذا ما يلاحظ من تكرير السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم

على معاذ، ثم ترك الجواب، وإعطائه فرصةً ليفكر فيه، وقع هذا ثلاث مرات، وهذا الأسلوب في عرض المسائل ـ فيما وقفت عليه من أحاديث ـ من النوادر.

ويستفاد من هذا أن على داعية التوحيد أن ينوع في الأساليب في دعوته إلى هذه العقيدة، وأن يجتهد في التشويق بكل ما يقدر من أساليب ممكنة، ومحاولة الاستفادة من جميع الوسائل الممكنة لتقريب هذا العلم العظيم: اللغوية، والأدبية، البيانية، والفنية، والتقنية، وغيرها.

٣ ـ سياق الحديث يوحي بنوع اختصاص لمعاذ بهذا الحديث، بدليل قول معاذ: أفلا أبشر الناس؟ وجواب النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله: «لا تبشرهم فيتكلوا».

وفي هذا فائدتان في بيان هديه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب :

الأولى: أن من العلم ـ وخصوصاً في باب الاعتقاد ـ ما لا يشاع لعامة الناس، بل يؤخر نشره إلى أن يناسب الحال نشرَه وبثّه، وهذا يختلف باختلاف البلدان، والأحوال، والأشخاص، وهذا الهدي النبوي باقٍ إلى يوم القيامة.

وهذا كما هو هديه صلى الله عليه وسلم في الأقوال، فهو هديه ـ أيضاً ـ في الأفعال، كما في قصة ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وسيراً على هذا الهدي كان بعض أئمة السنة ـ كالإمام أحمد ـ يكره التحديث بأحاديث الصفات عند العامة.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

الثانية: وهي وثيقة الصلة بما قبلها، أن للعالم أن يخص بعض نجباء طلابه ببعض العلم، إذا كان الطالب يفقه أبعاد الخطاب ومراميه.

وقد بوب البخاري ـ رحمه الله ـ على هذا في صحيحه بقوله: «باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا»، ثم أورد تحت هذا الباب قولَ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله».

وفائدة ذلك أن يتصل العلم، ولا ينقطع بموت العالم، ويبقى في الطلاب من يتحمل مسؤولية البلاغ بعد ذلك، ناهيك عن الأثر النفسي الرائع الذي يتركه هذا الاختصاص.

٤ ـ تأمل كيف قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين العمل والترك في تحقيق التوحيد، فلا يكفي مجرد البراءة من الشرك بل لا بد من عمل، وهذا ظاهرٌ جليٌّ في جمعه صلى الله عليه وسلم بين العبادة وترك ما يضادها حين قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً».

والمراد بالعبادة: عمل الطاعات، واجتناب المعاصي، وعطف اجتناب الشرك دقيقه وجليله، لقوله: «شيئاً» في سياق النهي.

والحكمة في ذلك ـ كما ذكر بعض أهل العلم ـ: «أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله، ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى، فاشترط نفي ذلك».

وهذا معنى ما يقرره أئمة السنة، من أن الإيمان: قول وعمل، فلا بد من جنس العمل، إذ لا يتصور إيمان بلا عمل، أو أنه يكفي في الإيمان مجرد التصديق، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلو ذلك»؟ فنص على الفعل.

وللحديث صلة ـ إن شاء الله ـ.

المقامة الإلادرية

بقلم أ. عبد الإله الفايزي جامعي - رياضيات

حَدّثَ جَاحِدُ بنُ أَفّاكَ قَالَ: تَقَاذَفَتْنِيْ المَذَاهِبُ وَلَوَاهِيْتَهَا، وَأَكْفَرَتْنِيْ العَقَائِدُ وَطَوَاغِيْتَهَا، حَتّى غَدَا أُنْسِي، بِالْكُفْرِ بِمَا عَلَيْهِ أُمْسِي!، وَمَا سَخِرْتُ مِنْ مَذْهَبٍ، كَمَذْهَبِ الدَّهَالِيْزِ، مَاسِخِ الْبَشَرِ أَرَاجِيْزَ، وَكَانَ خَبَرِيْ بِهِ غَدَاةَ الكِرِسْمِسْ، إِذْ أَسْرَفْتُ بِالْمَشَارِبِ، وَأَسْبَغْتُ عَلَى الأَبَاعِدِ وَالأَقَارِبِ، فَلَقِيْتُ شَيْخَ اللّاأَدْرِيّةِ، وَرَائِدَ الأُمّةِ الْخُنْفُشَارِيّةِ، هَرِمٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي الضّلاَلُ، وَأُشَيْمِطٌ بِإِلْحَادِهِ تُضْرَبُ الأَمْثَالُ، وَكَانَ بِيْ مِنْ بَعْدِ السّكْرِ أَثَرٌ، فَقُلْتُ: يَا أَخَا الْخُمُوْرِ، وَخَدِيْنَ الْفُجُورِ، هَلْ لَكَ بِلِيْبَرَالِيٍّ غَضّ العَقْلِ، وَطَرِيَّ البَقْلِ؟ تَكْذِبُ عَلَيْهِ فَيُؤْمِنْ، وَتُمْلِيْ عَلَيْهِ فَيُتْقِنْ؟ فَنَهَضَ الْشَّيْخُ حَاجِبَيْهِ، وَشَدَّ بِيُمْنَاهُ وَجْنَتَيْهِ، وَقَالَ: أَمَا تَرَى صَنْعَةَ الدَّهْرِ بِلِحْيَتِي، وَقِصّةَ الْحَدَثَانِ فَيْ جَبْهَتِيْ؟ مَا ذَا الّذِيْ تَرَاهُ، إِلاّ تَجْرِبَةٌ وَعَيْتُهَا، وَحِكْمَةٍ صَفّيْتُهَا، خُلاَصَةُ سِنِيْنَ، وَرَأْيٌ مَتِيْنَ!، خَبَرْتُ بِهَا الْمَذَاهِبَ والرِّجَالَ، وَدَرَّبْتُهَا فِيْ كُلِّ نِحْلَةٍ وَمَجَالٍ، حَتّى عَرَفْتُ الدَّعِيَّ، وَمِزْتُ العَيِيَّ، وَبَانَ لِيْ مَنْ تَشُدُّ بِهِ ظَهْرَاً، وَمَنْ تُعْطِيْهِ فِيْ الشَّدَائِدِ ظَهْرَاً، وَمَنْ تَلْقَاهُ بِبِشْرٍ، وَمَنْ تَلَقَّاهُ بِشَرٍّ، وَمَنْ تُوْلِيْهِ جِدّاً، وَمَنْ تُصَعِّرُ لَهُ خَدّاً... قَالَ جَاحِدُ بْنُ أَفّاكَ: فَأَطَالَ الْكَلاَمَ وَأَثْقَلَ، وَطَفَحَ بِالْكَيْلِ وَأَمْلَلَ، فَقُلْتُ لَهُ حَنِقَاً: اقْطَعْ لَنَا الطَّوِيْلَةَ بِالقَصِيْرَةِ، وَبَدِّدْ الوَضِيْعَةَ بِالأَصِيْلَةِ! فَحَدَّقَ بِيَ الشَّيْخُ وَحَمْلَقَ، وَسَكَتَ بُرْهَةً يَتَمَطَّقُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا الأَيَّامُ فَعَلَّمَتْنِيْ، وَأَمَّا الأَحْدَاثُ فَكَلَّمَتْنِيْ، وَقَالَتْ: لاَ تَرْجُوَنَّ لِيْبِرَالِيّاً وَلَوْ طَالَتْ تَجَارِبُهُ، فَكَيْفَ بِغِرٍّ مَا طَرَّ شَارِبُهُ، أَمَا أَيُّهَا

الْوَضِيْعُ، لَوْ خَيَّرُونِيْ بَيْنَ اللِيْبرَالِيَّةِ وَالْحَمُوْرِيَّةِ لاَبْتَدَرْتُ الذَّيْلَ أَلْصُقُهُ،
وَحَبَسْتُ الهَوَاءَ لِلْصَّوْتِ أَنْهِقُهُ، وَلَهَوَيْتُ أَمْشِيْ عَلَى أَرْبَعٍ، وَأُدْنِيْ إِلَى الأَرْضِ
رَأسِيْ وَلاَ أَرْفَعُ! وَلَتَرَكْتُ النَّاسَ تَقُوْلُ: حِمَارٌ فَرَّ مِنْ شَرٍّ، أَوْ بَشَرٌ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ! قُلْنَا: لاَ نَدْرِيْ
وَقُلْتُمْ نَحنُ الذِي يَدْرِيْ! فَقُلْتُمْ وَكَذَبْتُمْ، وَأَفْحَمَكُمُ الْمُسْلِمُونَ وَمَا خَرَسْتُمْ، تَصَلَّبَتْ وُجُوْهُكُمْ حَتّى رَجَوْتُ لِيْ مِنْهَا
لَوِ اسْتَحْمَرْتُ حَافِراً، وَذَهَبَتْ عُقُوْلُكُمْ حَتَّى بَدَا مِنْهَا الْجُنُوْنُ سَافِراً... فَقُلْتُ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللِيْبرَالِيَّةَ مَوْضَةٌ، وَأَنَّهَا الْيَوْمَ
لِلشَّهَوَاتِ رَوْضَةٌ؟ فَمَا لِيْ بِهَا رَغْبَةٌ، وَلاَ إِلَى فِكْرِهَا طُلْبَةٌ، فَأَفْتِنِيْ بِالسُّكْرِ وَالنِّسَاءِ، أَتْبَعُكَ فِيْ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ، فَاسْتَبْشَرَ الشَّيْخُ
وَتَهَلَّلَ، وَاسْتَدَلَّ وَعَلَّلَ، وَتَرَكْتُهُ حَتّى خَلا وِفَاضُهُ، وَحَانَ مِنْ بَعْدِ البَسْطِ انْقِبَاضُهُ، فَقُلْتُ أَتَدْرِيْ وَأَنْتَ شَيْخُ مَنْ لاَ يَدْرِيْ؟ قُلْتَ
لاَ نَدْرِيْ فَصَدَقْتَ، وَقُلْتَ لاَ يَدْرُوْنَ فَكَذَبْتَ، يُعَلِّمُكَ اللهُ وَتَسْتَجْهِلُ، وَيُبَلِّغُكَ بِالآيَاتِ فَلاَ تَعْقِلُ، أَمَا لَوْ عُرِضَ الذِيْ أَنْتَ فِيْهِ عَلَى
البَهَائِمِ لاَسْتَنْكَرَتْهُ، فَكَمْ ضَيَّعْتَ مِنْ عُمُرِكَ، وَأَتْلَفْتَ مِنْ عَمَلِكَ، وَأَضْحَكْتَ وَأَبْكَيْتَ، وَأَغْوَيْتَ وَأَشْقَيْتَ، لَقِيْتَ أَهْلَ الْعَقْلِ فَمَا
نَفَعَكَ، وَخَالَطَكَ أَهْلُ الْيَقِيْنِ فَمَا رَفَعَكَ، يَا لِخَيْبَةِ العُمْرِ مَعَ التَّفْلِيْسِ، وَالْعَقْلِ مَعَ امْتِطَاءِ إِبْلِيْسَ... فَلَمَّا أَغْلَظْتُ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ
وَشَدَدْتُ، وَفَرَيْتُ مُعْتَقَدَهُ وَفَنَّدْتُ، قَالَ وَقَدْ بَنَا الْجَهْلُ فِيْ رَأْسِهِ دَارَهُ، وَحَرَفَ عَنِ الْهُدَى وَجْهَهُ وَأَدَارَهُ: أَلَيْسَ
نِصْفُ العِلْمِ لاَ أَدْرِيْ؟!! فَنِصْفُ الْعِلْمِ يَكْفِيْنِيْ، وَجَهْلُ الأَمْرِ يُغْنِيْنِيْ! وَأَنْتُمْ تُسْأَلُوْنَ وَتُجِيْبُونَ، وَأَنَا
أُسْأَلُ وَأُجِيْبُ! تُجِيْبُونَ قَوْلاً فَتُطِيْلُونَ وَصْفاً، وَأَنَا أَمُدُّ شَفَةً وَأَهُزُّ كَتِفاً.. فَقُلْتُ: إِذَاً
يُذْهِبُ الْفَالِجُ عِلْمَكَ! وَتَبُزُّ أَطْفَالُنَا عَقْلَكَ! وَمَضَيْتُ أَنْدُبُ سَاعَةً
ضَيَّعْتُهَا أَسْمَعَهُ!

أسطورة "شوربة ما قبل الحياة"

بقلم الأستاذ: أبو الفداء

قال الموحد: أنتم تؤمنون بأن الحياة نشأت في بحيرة ساخنة تفاعلت فيها بعض العناصر الكيميائية لتكون الأحماض الأمينية، التي تفاعلت بدورها لتتكون منها أول صورة بدائية للحياة العضوية، أليس كذلك؟

الملحد: بلى، وإن كنت أتحفظ على كلمة «تؤمنون» هذه!

الموحد: ولم التحفظ؟ الإيمان هو الاعتقاد في صحة شيء مغيب عنك لم تشهده بنفسك، وهذا هو حالكم مع تلك القصة، فما وجه تحفظك؟

الملحد: وجه تحفظي أن الأمر عندنا ليس إلا «نظرية» تحتمل الصواب والخطأ، وتسري عليها مبادئ الشك العلمي المتبوعة في سائر العلوم الطبيعية. كما أنك تجعل الأمر يبدو وكأنه اعتقاد غير قائم على دليل، كما هو حال أهل الأديان!

الموحد: كلمة إيمان تطلق لغة – بصرف النظر عن معناها الاصطلاحي الشرعي في الإسلام - على كل ما يعتقد الإنسان بقلبه صحته سواء صح به الدليل عنده أم لم يصح، فالذي يعتقد بأن سرعة الضوء ثابته، هذا يؤمن بهذا الأمر كما يؤمن أصحاب الملل بثوابت دينهم، وكل منهم يستدل على ما عنده بما يراه دليلا، سواء صح الاستدلال به في ذات الأمر أو لم يصح! وأنا لم أذكر لا تصريحا ولا تعريضا أن إيمانكم هذا لا يقوم على دليل أو على فكرة ترون صلاحيتها للاستدلال!

ولكن بما أنك أنت من بادر بالإشارة إلى الدليل وصحة الدليل وما يلزم منه عند الناس فيما يعتقدون وما به يؤمنون .. فدعني أبادر وأسألك: ما هو الدليل عندك على أن الحياة كلها نشأت في تلك البحيرة المزعومة؟

الملحد: دعك من كونها بحيرة أو بحرا أو محيطا أو نحو ذلك، وتأمل معي في ملايين طويلة من السنوات تمر على عدة ملايين من العناصر والمركبات الكيمائية الأولية السابحة في ذلك المسطح المائي الكبير، تتصادم وتتداخل وتتفاعل عبر احتمالات لا متناهية، ألا يحتمل عقلا أن تتوفر ولو لمرة واحدة الظروف المؤاتية لنشأة أبسط صور الحياة من تلك المركبات السابحة، عبر تلك الأزمان الطويلة المديدة؟؟

الموحد: كلا لا يحتمل، بل يستحيل بالعقل والحس جميعا!!

الملحد: كيف هذا؟؟

الموحد: عرِّف لي أولا معنى الحياة عندك. ما هي «الحياة»؟

الملحد: الحياة صورة من صور الطاقة تنتقل فيما بين الكائنات كالحرارة..

الموحد: كذبت، ليست كذلك! فنحن عندما نرى كائنا حيا يموت، لا نرى «طاقة» تخرج منه فتدب في الهواء من حوله، وربما دبت في ميت آخر ملامس له، فرأيناه ينهض حيا، أو تحيا بعض أجزاء جسده مع بقائه غير واعٍ.. فيصبح بعضه مادة حية بعدما كان مادة ميتة!! فإنك تعلم كما أعلم أن الكائن الحي عندما يموت، لا تتبدد منه مادته إلا وتنتقل إلى صورة أخرى (تتحلل) ولا تتبدد منه طاقته إلا وتنتقل إلى وسائط أخرى (كحرارة جسده التي يمتصها الهواء المحيط والسطح الذي يلامسه الكائن الميت)، وأنت تعلم كذلك أن قانون حفظ الطاقة والمادة في هذا العالم يستلزم ألا تفنى فيه المادة والطاقة ولا تأتي من العدم! وتعلم كذلك أن المادة والطاقة يشتركان في أصل تكوينهما، ولم يقل أحد بأن في الكائن الحي طاقة – أو شيء آخر ليس بمادة ولا طاقة ولكنه يشترك معهما في مكونهما الأصلي - يفنى بموته، إذ لازم ذلك أن تظل الطاقة والمادة في الكون – كلاهما - في تناقص مطرد حتى لا يبقى فيها مخزون من مادة ولا طاقة!! ولك أن تتصور كم الكائنات الحية التي دبت بأقدامها على هذه الأرض عبر عشرات الملايين من السنين التي تؤمن أنت بأنها عمر الحياة على هذه الأرض!

لو تنزلنا معك بأن الحياة طاقة، فإلى أين تذهب هذه الطاقة، إجراءً لقواعد العلوم الطبيعية التي تؤمنون بها؟؟

الملحد: لا ندري، ولكننا نأمل أن يكشف لنا العلم عن هذا الأمر في يوم من الأيام.

الموحد: فإن كنت بعد لا تدري، فكيف اجترأت على قولك «الحياة صورة من صور الطاقة»؟ وما وجه ذلك الافتراض من جهة أسس التنظير الإمبيريقي؟؟ لا شيء على الإطلاق!! بل كما بينت لك فإنه مخالف للمشاهد والمحسوس!!

هذا أولا..

وأما ثانيا، فدعني أسألك سؤالا آخر:

هل تعتقد أننا سيمكننا في يوم من الأيام اصطناع الحياة في المعمل وإحياء الكائنات الميتة بها؟

الملحد: نعم، ولم لا؟ أيا ما كان العامل المسبب للحياة في الكائنات فإنه ولابد صنفٌ من صنوف المادة التي يمكننا قياسها ودراستها!

الموحد: هذا لعمر الله هو الكبر بعينه! بأي حق يجزم الرجل العاقل بأنه لا يمكن أن يكون هناك موجود من الموجودات لا يمكننا إدراكه أو بلوغه أو تصوره بالقياس على ما نرى في الكون من حولنا؟

الملحد: العقل يستلزم هذا!

الموحد: كلا والله، لا العقل ولا الحس يستلزمانه، بل العقل يستلزم خلاف ذلك ولا شك! فكل نقطة يمكننا بلوغها يلزمنا عقلا أن نجزم بإمكان وجود نقطة أخرى وراءها يمكننا بلوغها أيضا، كما أن العقل يستلزم وجود نقطة س في نهاية الخط حيث (س +١ = س)، وهي النقطة التي لا يمكننا أصلا أن نتصور بلوغها، مع إقرارنا بوجوب وجودها رياضيا كقيمة نهائية للأعداد هي آخرها وأكبرها على الإطلاق! فحاصل الأمر أننا نعقل مكانا لا يمكننا بلوغه لأننا لو بلغناه، لعرفنا قيمته الحقيقية ولكان كغيره من الأعداد ولزم أن نعرف –بالتبعية– القيمة التي تليه على شريط الأعداد!! ومن البداهة أن يقال أنه لا يلزم أن يكون وراء تلك النقطة عدم، كما لا يلزم أن يكون فيما وراء الكون عدم! بل العقل يستلزم أن يكون فيما وراء الكون خالق عظيم

لا يقاس على خلقه وهو مغاير لهم في ذاته وفي كيفها، فلا يقاس ولا يعد ولا يمكن تصوره سبحانه وتعالى، وهذا موافق تماما لما نتوقع أن يكون عليه ما وراء تلك النقطة في نهاية الكون، كما وراء تلك النقطة على خط الأعداد!!

فأي عقل هذا الذي تدعي أنه يستلزم أن يكون كل شيء في الوجود داخلا في دائرة قدرتنا على الإدراك والفحص الإمبيريقي؟؟ هذا كلام باطل قطعا!

وأقول لك، فلنفترض تنزلا أن الحياة – في حقيقتها – مادة تحل في الجسم الميت فتحييه وتزول عنه فيموت كما تؤمن أنت، فكيف تتصورون أنها نشأت بتفاعل كيميائي حقير، ليس هذا فحسب، بل إنه وقع بالمصادفة المحضة، دونما إعداد مسبق ولا ترتيب ولا تحضير قط، في بحيرة تسبح فيها مادة هائمة عالقة لا ضابط لها ولا موجه ولا حاكم؟؟ هل تؤمن بإمكان جريان التجارب الكيمائية في المعامل هكذا صدفة دونما إعداد أو تحضير قط، لينشأ منها كائن حي (وليس مادة مصمتة ميتة)؟؟؟

الملحد: من الذي قال بأنها تنشأ دون تهيؤ الظروف اللازمة لنشأتها في ذلك التفاعل؟؟ ليس هذا ما نقول به! ودونك تجربة ستانلي ميلر الشهيرة التي حاول فيها إعداد تلك الظروف ومحاكاتها في المعمل وإن كان لم يوفق إلى ذلك!

الموحد: سبحان الله! ما أعجبها من عقول تلك التي في صدوركم!! ما لكم كيف تحكمون؟؟ إن كان الرجل قد عجز في معمله مع كل ما تكلفه من إعدادات وتجهيزات، عن محاكاة الظروف الثقيلة التي يرى أنها لازمة ضرورة لتكوُّن أدنى وحدة من وحدات المادة الميتة التي بدخول الحياة إليها تصبح أساس ما نسميه الكائن الحي، فبالله كيف يجرؤ عاقل على أن يدعي أن تلك النشأة الأولى التي لم نر لها نظيرا أصلا، أتت مصادفة دونما صنع من خالق عليم حكيم قادر لضبط ما تتطلبه وما يلزم لها من ظروف خاصة، وهي ظروف يلزم عقلا ألا تكون كشيء من تلك التفاعلات التي تعلمناها بمراقبة ما يجري بين عناصر المادة المخلوقة التي ندركها من حولنا، لأنه خلق لأول صورة من صور الحياة على الأرض من المادة الميتة، فهو ليس تفاعلا بين مواد ميتة تخرج منه مادة ميتة أيضا، ولا تفاعل مادة حية مع حية مثلها، فمن الواضح الجلي أنه أمر لا يرومه بشر، إذ لا يقاس على أي شيء رأوه في الدنيا أصلا!!

ومع هذا تقفون يا مساكين في معاملكم تتحدون خالقكم وتصرون على إخراج مادة فيها حياة من مواد لا حياة فيها.. وأنتم تؤمنون بأن الأمر إنما جرى بالمصادفة المحضة دونما إعداد مسبق أصلا، وأن ملايين من السنين يلزم عقلا أن تتكون فيها بالمصادفة تلك الظروف التي عجزتم عن إعدادها!!!

فيا للسفاهة المحضة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

صدق الذي قال فيكم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩]

عندئذ شحب وجه الملحد ولم يدرِ بم يجيب..

علي الطَّنطاوي

مقالات في كلمات

لن يخدعونا!

من أمثال «كليلة ودمنة» :

أن ناسكا اشترى كبشاً ضخماً ليجعله قرباناً، فانطلق به يقوده، فبصر به قوم من المكرة فائتمروا بينهم أن يأخذوه من الناسك، فعرض له أحدهم فقال: «أيها الناسك ما هذا الكلب الذي معك؟». ثم عرض له الآخر، فقال لصاحبه: «ما هذا ناسكاً لأن الناسك لا يقود كلباً». فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك أن الذي يقوده كلب، وأن الذي باعه إياه سحر عينيه، فأطلقه من يده.

فأخذه الجماعة المحتالون ومضوا به.

***

هذا مثالنا مع أمم الغرب؛ رأوا أن هذا الدين الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم فأعز به العرب جميعا مسلمهم ونصرانيهم، والمسلمين كلهم عربيهم وأعجميهم، مبعثُ القوة لنا لا تُغلب إن حافظنا عليه، ولا يبلغون من ما يريدون إن تمسكنا به، فحشدوا حشودهم، وساقوا جنودهم من العاملين في إرساليات التبشير (وما قصدهم التبشير بالنصرانية؛ لأن النصرانية إنما انبثقت من هذه البلاد وخرجت منها، ولكن قصدهم التمهيد للاستعمار) ومن إرساليات التعليم (وما غرضهم تعليم العلم، ولكن نشر الدعاية) ومن إرساليات الطب (وما مرادهم شفاء الأجسام بطبهم ولكن إمراض القلوب بدسهم) فكانوا في اتفاقهم علينا، وائتمارهم بنا، مثل هؤلاء المكرة مع الناسك.

وكما خُدع الناسك عن كبشه حتى ظنه كلباً ... من الإعادة والتكرار والإيحاء المستمر (وتكرارُ الحبل يؤثر في صخرة البئر) خُدعنا نحن عن الحقائق الظاهرة فحسبناها باطلاً، وحسبنا باطلهم الذي ما زالوا يكررونه حقا، وصرنا نردد مقالتهم، وندعو إلى التفريق بين الدين والسياسة، وبين الدين والعلم، ونضرب الأمثلة بتاريخ أوربا ...

وأنا لا أحب أن أفرض ما أراه على المخالفين فرضاً، وألزمهم إلزاماً، بل أحب أن أناقشهم ويناقشوني حتى نتفق على الحق في هذه المسألة، ونفرغ منها لنشتغل بما هو أجدى علينا، وأنفع لنا ...

وهذه المناظرة المكشوفة خير من إفساد عقائد الناشئة في رواية خبر أو تلخيص كتاب سخيف لمؤلف جاهل مجهول.

***

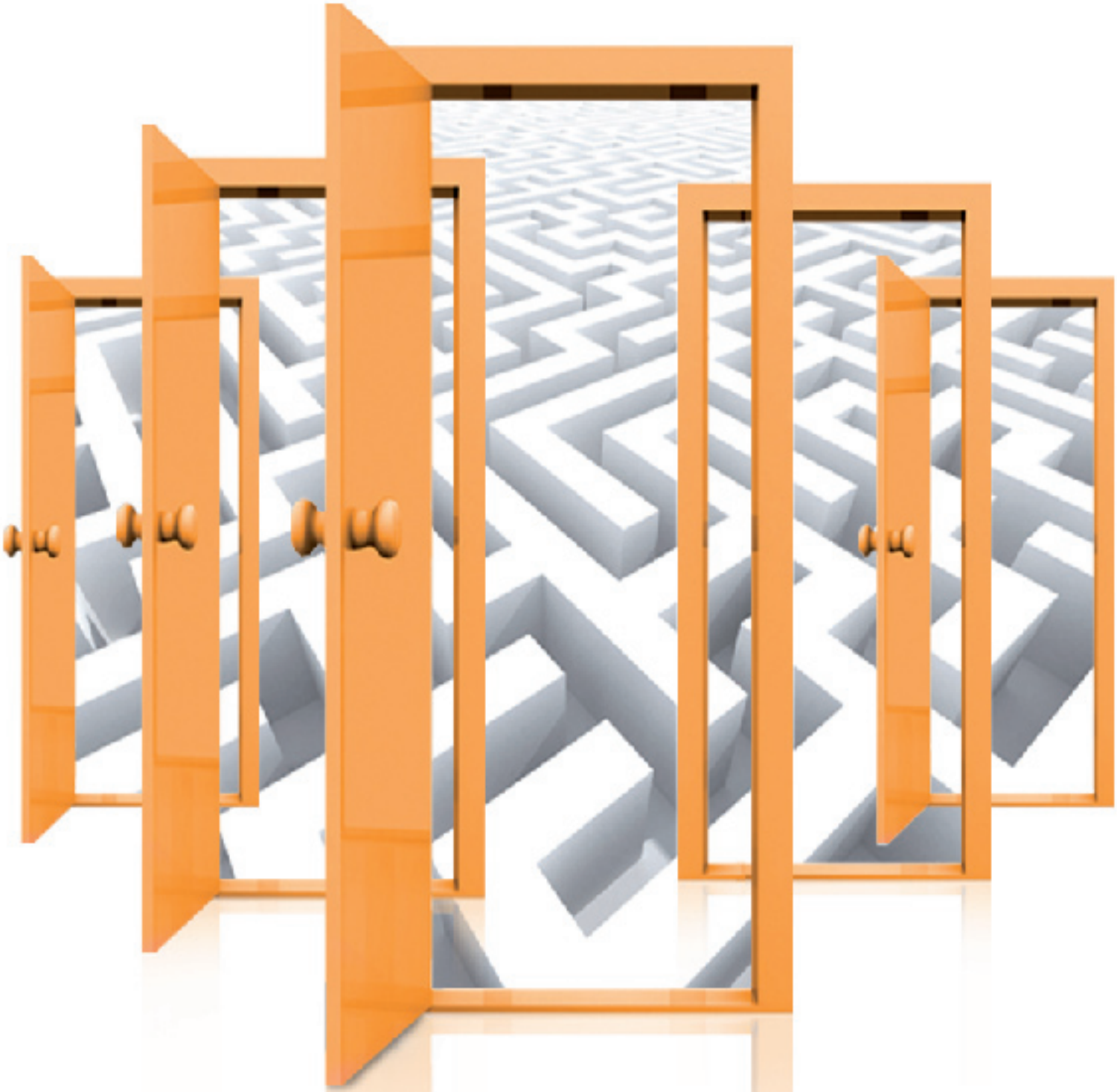

لا أعلم هويتي

الجزء الرابع

بقلم د. حسام الدين حامد

أزيدك أم تجيبني ؟

أنتظر جوابك ..

السائل:

لا أريد الإجابة بقدر ما أعجبتني القراءة .. زدني يا أخي العزيز .. زدني مما تعلمت عبر السنين ...

حسام الدين حامد

ماذا لو أوتي مخلوق من حلاوة الكلام ما لم يؤت مثله إنسان .. ثم حمل بلاغته على كاهله .. وأخذ يأخذ كلمةً من هنا و كلمةً من هناك .. ولكن ..

ولكن ذاك « المخلوق» دافع عن قضية باطلة !!

أترون لكلامه حلاوة ؟! أترون لقوله طلاوة ؟! أم ترون أن ظلمة الباطل تطفئ كل قول معسول ؟!

يرحم الله ابن تيمية فقد كان يقول قبل حديثه: **«اللهم بك أصول وبك أجول وبك أقاتل!!».**

فما بي من شيء .. والله ثم والله ما بي من شيء .. وليس إلي شيء .. ولكنه النور الذي أركن إليه أحوج ما أكون إلى قول.. نور الوحي .. أما آن لك أن تركن معي إلى هذا النور ..

تقول: «أعلم أن وراء هذا الكون خالقًا ولكنني متكبر لدرجة عدم التصديق».

لقد كنت أدعو لك في سجودي بالهداية.. إي نعم.. كنت أدعو من بيده مفاتيح مغاليق القلوب أن يشرح قلبك ..

وتمنيت ..

وتمنيت أن لو كنتَ بجانبي تسجد هذه السجدة فتبكي ويهيجني بكاؤك على البكاء عسى ربنا أن يغفر لنا خطايانا ..

تمنيت أن لو سجدتَ لله سجدة تقول له فيها: **«رب اغفر لعبدٍ جثا فوق التراب!».**

تمنيت أن لو كان هذا الكبر الذي حال بينك وبين ربك جدارًا فهدمتُه أو ثوبًا فمزقته أو حتى جبلًا لنسفتُه!

وأخذني خاطرٌ طغى عليّ .. ماذا لو متُّ قبل أن تُسلم لله ربي وربك ورب العالمين ؟!

ثم قلت: أي نفسي! وما عليّ إن مت وقد بلَّغته مما علمني ربي؟! فإن أسلم لقيته في الجنة - بفضل ربي - أبثه من حلو الكلام ويبثني؟! وإن كانت الأخرى فما لي آسى على من تكبر على خالقه؟!!

ولكن نفسي ردت عليّ بخاطرة أخرى: لكن ماذا لو مات قبل أن يسلم لله عز وجل ؟!

انظر فيمن طغى وبغى، وبطر وكفر، ثم أتاه الموت فما استطاع فكاكًا، انظر في حال هذا المعاند ثم تعال وأخبرني !!

أخبرني: هل تتمنى أن يكون ذاك المعاند قد مات على الإسلام أم الإلحاد ؟!

أخبر نفسك وأخبرني: هل تتمنى أن يكون ذاك المعاند مات على الإسلام أم الإلحاد ؟!

أخبر نفسك: هل تتمنى أن يكون ذاك المعاند مات على الإسلام أم الإلحاد ؟!

ثم سل نفسك بعد أن تخبرها ..

ماذا لو كنتُ مكان ذاك المعاند ؟! أكنت أتمنى أن أكون قد مت على الإسلام أم الإلحاد ؟!

هاه؟؟!!

فما لك تنأى ؟!!

قلها ولا تخف «أشهد ألا إله إلا الله و أن محمدًا رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله!!»

وماذا عليك إن قلتها ثم استقمت ؟!

ثم ماذا عليك إن قلتها ثم مت ؟!

ثم ماذا عليك إن أخذتك إلى الجنة ؟!

فما لك تنأى ؟!

أتظن أن الموت لن يأتيك ؟! والله إنه آتيك .. ولن تعجز الله في الأرض ولن تعجزه هربًا ..

ألم تسمع قول الله عز و جل في الحديث القدسي:

«يا ابن آدم ! أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيدٌ، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأنّى أوان الصدقة ؟!».

وكل إنسانٍ يعرف ما هذه التي خلق من مثلها .. فما لك للأرض منك وئيد ؟! أتظن روحك لن تبلغ التراقي ؟! والله ستموت!!

هذا أوان التوبة فأقبل .. أقبل قبل أن تتمنى فلا تجد ..

قال الله - خالقي وخالقك – سبحانه: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

نسيت أن أسألك: كيف حالك ؟!

علك بخير ..

علّ صمامات الأمان والمحابس في جسدك ما زالت تعمل ..

علّ مفصل المرفق ما زال يعمل ..

علّ العضلات الصغيرة التي تحرك أصابعك للكتابة على لوحة المفاتيح ما زالت تعمل .. والأعصاب التي تغذي هذه العضلات ما زالت تعمل .. والمراكز العصبية التي منها تخرج هذه الأعصاب ما زالت تعمل..والأفكار التي من خلالها تكتب ما زالت تأتي..

علّ نعم الله ما زالت سابغة عليك ظاهرًا وباطنًا..

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ..

ها أنا أحمد الله على نعمه عليك .. ورحمته بك .. وحلمه عليك ..

فأين أنت من هذا ؟!

أما زلت على كبرك ؟! أم آن أوان الاعتراف والشكر ؟!

تعال أدخل عليك من باب جديد ..

تعال ندخل من باب الجامعات التبشيرية التي دخلتَها والكتب التي قرأتَها .. تعال ندلف إليها بسلاح الحق ونور اليقين ونبدد ظلماء غشت القلوب ورانت على العقول .. فلعل وعسى ..

تقول:(قرأت الكتب التي تتحدث كثيراً عن أن الرسول محمد ليس سوى فيلسوف مطلع على الكتابات التاريخية .. وأرى من خلال بعض التعاليم الإسلامية أنها لم تأتِ بمزيدٍ وليست سوى إعادة لما سبقها من الأمور).

فسأعرض عليك صفقة ..

رابعًا: صفقة ثقيلة ..

أخدعوك عن عقلك فقالوا إن النبي صلى الله عليه و سلم فيلسوفٌ ادّعى كذبًا أنه رسول من عند الله ؟!!

أخدعوك فانخدعت لهم ؟!

تعال أعرض عليك صفقة ستجعلك «الفيلسوف الكذاب».

تعال وأخبرني ما رأيك في هذه الصفقة أداخلة هي في سياج العقل أم غير معقولة ؟!

أريدك أن تكون الفيلسوف الكذاب..

تعال عبر الأزمان والأمكنة .. وبأقصى سرعة ممكنة .. إلى قريش في مكة .. إلى قومٍ بلغوا في البلاغة شأوًا لا يوصل .. وأقاموا للأشعار سوقًا لا يوصف .. فهذا يقف يرتجل قصيدة .. وذاكم يقف يرد عليه ارتجالًا .. وقصيدة من هذا ومن ذاك طيبةٌ حلوة.. لها في البلاغة شأنٌ عالٍ.. تعال إلى قومٍ أقاموا على الأصنام سادنًا مع سادن.. تعال إلى قومٍ مصدر اقتصادهم الأصنام حول الكعبة.. يأتيها الرجال والنساء فتنشط التجارة.. تعال إلى قوم هذا حالهم ..

الآن لنبدأ !

أريد منك أن تظل في قومك أربعين سنة صادقًا أمينًا ..

أريد منك أن تكون «تصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».

أريد منك أن تكون أميًا لا تقرأ ولا تكتب ..

أريد منك أن تكون يتيمًا ليس لك والدٌ يطوف بك البلدان.. ليس لك معلمٌ يخبرك عن أخبار اليونان والرومان..

أريد منك أن ترعى الغنم حتى تتعلم الحنو على المرعيّ..

أريد منك أن تترك الوفود على عبادة الأوثان مع قومك..

ثم فجأة ! في سن الأربعين .. تعلن - كاذبًا - «أنا رسول الله...»

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريد منك أن تخرج على قومك وهم على أصنامهم عكوف .. وتعلنها صريحة: «إني رسول الله إليكم..».

فيسخر منك قومُك وينهرك عمُّك وتسميك زوجة عمك «أبو الرمم»

أستصبر بعدها على دعوتك وأنت تعلم أنك كذاب؟!

أهذا في حد المعقول عندك؟!

لا بأس ..

ثم أريد منك أن تتحدى قومك ..

ويا ترى ما الذي تختاره لتتحداهم فيه وأنت تعلم أنك كذاب ؟!

لعلك تختار شيئًا لا يتقنونه .. تختار التنجيم مثلًا أو الفلك أو الطب أو استقصاء الأثر ..

لا بل أريد منك أن تختار أقوى شيءٍ وصلوا إليه..

نعم ! أريد منك أن تتحداهم فيما خطر في ذهنك..

أريد منك أن تتحداهم في البلاغة واللغة ..

تتحداهم في أقوى ما عندهم وأنت تعلم أنك كذاب..

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريد منك أن تأتي بكلام تتحداهم فيه .. ليس هذا فقط ..

بل تتكلم بأسلوبين من الكلام ..

أسلوب في « القرآن الكريم» لا يوجد أبلغ منه في كلام البشر ..

وأسلوب في «الحديث الشريف» لا يوجد أبلغ منه في كلام البشر لكن حاذر فالقرآن أبلغ منه ..

فتسير بين الناس تتكلم بأسلوبين .. أحدهما أبلغ من الآخر وكلاهما أبلغ من سائر الكلام ..

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم يكون الكلام حسب الحوادث ..

فعندما يظلم أحد المسلمين يهوديًا تتكلم بأسلوبٍ بليغٍ لا يوجد في كلام البشر أبلغ منه لتنتصر لليهودي من المسلم ..

وعندما يتركك أصحابك في حين من الأحايين تتكلم بأسلوبٍ بليغٍ لا يوجد في كلام البشر أبلغ منه لتحذر أصحابك..

أوّه!! فكأنك لا تستطيع أن تعد هذا الكلام سلفًا في الأربعين سنة التي ظللت فيها قبل الكذب؟!

إي نعم .. لن تستطيع إعداد الكلام سلفًا بل ستتكلم و تجاري الأحداث بكلامك ..

فعليك بهذا الكلام البليغ جدًا والذي يأتيك عند كل حادثة .. وفي كل مرةٍ يكون كلامًا لا يوجد في كلام البشر أبلغ منه .. بل وتتحدى بهذا الكلام أقحاح العرب وأساطين اللغة..

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تصبر ..

نعم .. تصبر وأنت كذاب ..

عندما يسفهون عقلك فاصبر .. وعندما يقولون: «كذاب» فاصبر .. وعندما يقولون: «شاعر» فاصبر .. وعندما يقولون: «كاهن» فاصبر .. وعندما يقولون: «فيلسوف» فاصبر .. وعندما يخرجك قومك فاصبر .. وعندما يضعون على ظهرك سلا الجزور فاصبر .. وعندما يهجرك أهلك فاصبر .. وعندما يحاولون قتلك فاصبر .. وعندما يخنقونك خنقًا فاصبر .. وعندما يسيّرون خلفك السفهاء فاصبر ..

أتستطيع الصبر على كل هذا وأنت كذاب ؟!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تصمد ..

نعم .. تصمد و أنت كذاب ..

إن قالوا: «نعبد ربك عامًا و تعبد آلهتنا عامًا!» فارفض .. إن قالوا : «لك ما تشاء من الملك!» فارفض .. إن قالوا: «نسكت عنك إن سكتَّ عن آلهتنا!» فارفض .. إن قالوا: «لك ما تشاء من التطبيب والأموال والمغانم!» فارفض .. إن قالوا: «لك أموال التجارة كلها» فاصمد .. اصمد ..

أتستطيع الصمود أمام كل هذا وأنت كذاب ؟!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تحذر ..

نعم .. احذر فلكل كذاب هفوة ..

احذر فقد قالوا: «إذا كنتَ كذوبًا فكن ذَكُورًا!» فعساك تنسى كلمة قلتها فتأتي بغيرها بعد حين تناقضها فيظهر كذبك ..

أريدك أن تظل ذَكورًا لا تنسَ طول عمرك..

لا يتناقض قولك .. ولا يختلف فهمك ..

أريدك أن تتكلم في آلاف الآيات وآلاف الألوف من الأحاديث فلا تتناقض ولا تضطرب ولا يظهر كذبك ..

أريدك أن تعامل أصحابك كلهم فلا يقف واحدٌ منهم على كذبةٍ لك فضلًا عن أن يقف مجموعهم على هذا الكذبة ..

أتستطيع أن تحذر هذا الحذر ؟!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تحتاط لنفسك ..

لا تكتفِ «بالتمثيل» وأنت أمام الناس .. بل أريدك أن تظل على حالك وأشد منها في بيتك..

أريدك في بيتك أن تقوم بالليل وتترك أهلك .. تقوم لتصف قدميك بين يدي ربك - وأنت تعلم أنك كذاب ..!!

أريدك أن تترك الفراش ليلًا وتذهب إلى المقابر وتقول: «إن ربي أمرني بهذا» وأنت تعلم أنك كذاب ..

أريدك أن تبكي وعندما يسألك الداخلون عليك عن سبب بكائك تقول: «أُنزل علي آياتٍ جعلتني أبكي» - لاحظ أنك لم تكن تعلم أنهم سيدخلون عليك ..

أريدك أن تحتاط لنفسك فتقوم في الليل لعبادة ربك حتى تتورم قدماك - مع علمك أنك كذاب ..

أريدك أن تحتاط لنفسك حتى تقول عنك زوجتك: «كان قرآنًا يمشي ..».

أتستطيع بلوغ هذه الدرجة من الاحتياط وأنت كذاب ؟!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

أريدك صادقًا مع نفسك والناس - لكن كيف يكون ذلك وأنت كذاب ؟! لا أدري !!

عندما تتكلم عن الأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب تتكلم بما تعلم أنه هو هو عين الموجود وإن خالفك قومك ..

عندما تتكلم عن البحار والأنهار والشجر والدواب تتكلم بما تعلم أنه هو هو عين الموجود وإن خالفك قومك ..

وعندما تتكلم عن أخبار الأولين وقصصهم تتكلم بما تعلم أنه هو هو ما كان موجودًا وإن خالفك اليهود والنصارى من حولك ..

أتستطيع أن تبلغ هذا الدرجة من الصدق والعلم و أنت في الأصل كذاب ؟!!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تتخلى عن كذبك في أفضل الظروف للكذب وتتكلم أحوج ما يلزم كذابٌ السكوت ..

إن سألك قومك عن موعد الساعة فقل: «لا أدري!» وقل: « علمها عند ربي» ..

إن سألك قومك عن موعد هزيمة الروم للفرس فقل: «في بضع سنين» ولا عليك إن مرت السنون ولم يحدث ما قلت .. فكل ما سيحدث أن

ينكشف كذبك وينقلب عليك صحبك ويشمت بك عدوك ويهجرك أهلك وعلى اختلاف تصرفاتهم فسيُجمعون على وجوب قتلك .. لا عليك وماذا إن قتلوك ؟! بسيطة هي !! بسيطة على كذاب!!

إن رأيت الشمس تنكسف يوم موت ولدك فلا تسكت ولا تؤكد أنها انكسفت من أجله بل أعلنها أنها لا تنكسف لموت أحد ولا حياته!!

أيستطيع دجال أن يفعل مثل هذا ؟!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تسلي نفسك بالكذب ..

عندما يحرسك أصحابك تذهب إليهم وتقول: «اذهبوا إلى مضاجعكم فسيحرسني ربي فقد أنزل عليّ: ﴿والله يعصمك من الناس﴾»!!

وعندما يشمت بك عدوٌّ تسلي نفسك بالكذب فتقول:»إنا أعطيناك الكوثر»!!

وعندما تقف في المعركة وحدك أمام جيش عرمرم تقول:»أنا النبي لا كذب»!!

أتستطيع تسلية نفسك بالكذب وأنت تعلم أنك كذاب؟!!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

لا بأس ..

ثم أريدك أن تكون عالمًا علامة تأتي بما لم يأت به عارفي من بعدك بمئات السنين ..

تتكلم عن الأجنة وأنت لم ترها ..

تصف مراحلها وأنت لم تعلمها ..

تخبر بوصفها ولم يأتك عنها نبأ يقين ..

تخالف في كلامك من حولك ولا تبالي ..

أتستطيع ذلك وأنت كذاب ؟!!

أهذا في حد المعقول عندك ؟!

أفٍّ لهذا يا صاحبي!!

لقد طفح الكيل، و بلغ السيل الزبى، وغلى المرجل ثم انفجر ولم يبق في قوس الصبر منزع ..

والله إن هذا لعين اللامعقول ..

فكيف لصادقٍ - أربعين سنة - أن يكذب وعندما يكذب يكذب على الله؟!

وكيف لمن لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بما أعجز المتعلمين؟!

وكيف لكذابٍ أن يصبر على أذيته في بداية دعوته؟!

وكيف لكذابٍ أن يتحدى قومه في أقوى ما هم فيه من اللغة والبلاغة؟!

وكيف لكذابٍ أن يأتي بكلامٍ على البديهة هو من أبلغ الكلام ؟!

وكيف لبشرٍ - كذابٍ أو غير كذاب - أن يتكلم بأسلوبين أحدهما أبلغ من الآخر وكلاهما أبلغ مما سواهما ؟!

وكيف لكذابٍ أن يصبر كل هذا الصبر على دعوته؟!

وكيف لكذابٍ أن يصمد كل هذا الصمود أمام الإغراءات لترك دعوته ؟!

وكيف لكذابٍ ألا يقع - على كثرة كلامه - في التناقض أو الخطأ ولو مرة ؟!

وكيف لكذابٍ ألا يستغل الفرصة الذهبية للترويج لدجله ؟!

وكيف لكذابٍ أن يحتاط لنفسه حتى وهو في بيته وسط أهله ؟!

وكيف لكذابٍ أن يقول الحق وإن كان في ذلك مخالفة قومه ؟!

وكيف لكذابٍ أن يسلي نفسه بالكذب ؟!

وكيف لبشرٍ - كذابٍ أو غير كذاب - أن يتكلم عن الأجنة ولا يجانبه الصواب ولو مرة وليس عنده الأدوات الكافية لذلك ؟!

تالله يا صاحبي إن المنطق الإلحادي لثقيل الظل .. سخيف القول .. عديم النفع .. لا يأتيه الحق .. منطق بارد غير سديد .. خاوٍ غير رشيد ..

إنه لمنطق سخيف سخيف سخيف !!

منطق .. دع عنا ذكره فقد والله مللته!!

وتعال إلى المنطق الحق والقول الصدق ..

تعال إلى التفسير السديد ..

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

تعال إلى الحق كله:

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

تعال إلى اليقين كله:

﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾.

تعال إلى الفهم كله:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

تعال إلى الإيمان كله:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

تعال إلى الفقه كله:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

تعال إلى العلم كله:

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾.

تعال بعيدًا عن التناقض:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

تعال إلى الخُلُق كله:

سألوا عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم - رضي الله عنها - عن خُلقه فقالت: «كان قرآنًا يمشي على الأرض».

نعم .. نعم ..

هكذا تستقيم الأمور وتعتدل الأفهام وتتناسق الأحداث وينسجم الكون ..

هكذا ..

هكذا يظهر كذب من قال: « فيلسوف» ، فأشهد بالله أنه رسول الله بروحي هو ونفسي صلى الله عليه وسلم ..

فلا أدري أزيدك أم تجيبني ؟!

أخشى أن تطلب مني الزيادة فأموت قبل أن أزيدك..

وأخشى أن تؤخر الإجابة فتموت قبل أن تجيبني..

فلا أدري ماذا ستفعل يا صاحبي ؟!

التحدي الأعظم

بقلم الأستاذ bellal
جامعي - ترجمة (عربي، فرنسي، إنجليزي)

عندما ينقلب الإنسان عن الفطرة، ويغتر بالذكاء والفطنة، أو يتبع أهل الهوى والفتنة، ممن يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا، فيجحد الأديان والملل، وينكر الشرائع والنحل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ .

وينسى الذي خلقه من قبل ولم يكن شيئا .. ينسى الذي ركب فيه سراج العقل والحكمة ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، ثم ينسب له النقصَ وعدم الحكمة ، فبئست النسبة وبئست القسمة .

عندما يعظم شأن الإنسان في نفسه، ويتوهم التفوق والقدرة على تسخير الكون، بناء على عظمة في ذاته، أو نتاجا لقوة عقله وإدراكه، وارتقاء في جنسه ونوعه ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾.

وينسى أن هذا التسخير عناية من الله بالإنسان.. وينسى أن التسخير ليس من قدرة و ذات الإنسان ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ .. وينسى أن هذا التسخير من فعل مسخر وأن استفادة الإنسان من الكون ليست لأن الإنسان مرتقي بذاته على عناصر الكون وإنما المرقي له ، هو الله تبارك وتعالى .

عندما يحدث كل هذا وغيره ، فإن خطاب القرآن ينزع رين الغواشي عن مرائي القلوب، ويقطع وساوسها والظنون، ويحيي مواتها، ويهبها زادها، ليشرق نور الحق والسكينة والإيناس.

ثم يرد بالدليل القاطع، والبرهان الساطع، والتحدي العظيم الباهر، على ذوي المسخ في العقول، والشذوذ في الأفهام، والانحراف في الفطر. فتخرس

> **الإنسان مر بمراحل من الضعف والهوان ، كان في بدايتها يتساوى مع الجماد في العجز عن القدرة والإدراك ...**

الأفواه، وتعجز العقول، وتكل الفهوم والمدارك، وتسقط الأقلام .

عندما ينسى الإنسان حقيقته من حيث هو كائن ضعيف، مادة خلقه من الكون نفسه، يقول الحق تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨)﴾

فالإنسان مر بمراحل من الضعف والهوان ، كان في بدايتها يتساوى مع الجماد في العجز عن القدرة والإدراك ، ثم أعقبتها أطوار التكوين ومراحل الطفولة، ثم إذا هو في أشده عاقل مميز.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

هذا الاحتياج و الضعف في أطوار النشأة ومراحل التكوين يقصي كل توهم لدى الإنسان في قدرته على التسخير من ذاته، إذ العقل و القدرة على البطش لدى الإنسان لم تظهر لديه إلا بعد تلك المراحل، وهو ليس بمؤهل أن يسخر ملكاته وطاقاته لإدراك نفسه وذاته ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، بله التصرف فيما هو خارج عنه، أو أكبر منه حجما، أو ألطف منه تركيبة وبنية، كالهواء أو الماء ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [١]

ترجعونها ...

هذه دعوة للعودة إلى الفطرة النقية .. هذا خطاب القرآن العظيم إلى عبيد الآلة، الذين توهموا بما وُهبوا من قدرة محدودة على التصرف في سنن الله في

الكون، وبما رزقوا من حرية في التنقل، واستغلال الطاقة، واختراق المسافات، وتقدم علمي بلغ أوجه، وأخذ زينته وزخرفه.. دعوة ليدركوا حقيقة العجز والضعف أمام التحدي الإلهي وكمال التدبير والقدرة في صفحات الكون والآفاق، وصولا إلى النفس والذات ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.

إن هذا الكون في مجمله من ذرته إلى مجرته يسير وفق قانون محدد، ونظام ثابت و سنن لاتتبدل ولاتتحول ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ تؤكد بما لا مجال للشك فيه أن كل موجودات الكون قد خلقت بقدر معلوم، ودقة متناهية، وحكمة بالغة .

سنن تجري على كل الموجودات، تطالع الأنظار والمدارك في كل وقت وحين؛ ولا تتخلف مرة ولا تتأخر، ولا تتبدل ولا تتحول: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

وفي أنفسكم ... سنن ترسم ملامح القدرة الإلاهية في دورة حياة الإنسان وغيره من المخلوقات، وكيف أنها تبدأ من ضعف ثم تصير إلى قوة نسبية، لتصل إلى نهايتها الحتمية، لا مبدل لها ولا مغير، ولا محيد عنها ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ثم يقول ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

ضُرب مثل ...

وهذا مثل ضربه الله تعالى، دليلا على وحدانيته وعظمته وكمال قدرته، وتأكيدا لقوته البالغة، وبرهانا على تمام الضعف والعجز الأبدي أمام التحدي الإلهي، و ضعف الشركاء المزعومين، أوكل ما يستنصر به الكافرون من أوثان وأشخاص وقيم وأوضاع... هذا تحد لغرورهم و ضلالهم، وتجهيلا لهم، وتسخيفا لأحلامهم ...

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

«إنه النداء العام ، والنفير البعيد الصدى : يا أيها

فلو كان باستطاعة البشر خلق كائن حي واحد فقط ... فإن عليهم بمحاولة خلق ذبابة ..

الناس... فإذا اجتمع الناس على النداء أعلنوا أنهم أمام مثل عام يضرب، لا حالة خاصة ولا مناسبة حاضرة: ضرب مثل فاستمعوا له... هذا المثل يضع قاعدة، ويقرر حقيقة: إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له... كل من تدعون من دون الله من آلهة مدعاة: من أصنام وأوثان، ومن أشخاص وقيم وأوضاع, تستنصرون بها من دون الله، وتستعينون بقوتها وتطلبون منها النصر والجاه... كلهم، لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له... والذباب صغير حقير، ولكن هؤلاء الذين يدعونهم آلهة لا يقدرون - ولو اجتمعوا وتساندوا - على خلق هذا الذباب الصغير الحقير! وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل، لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز، سر الحياة فيستوي في

استحالة خلقه مع الجمل والفيل...

لكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأن العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل! دون أن يخل هذا بالحقيقة في التعبير. وهذا من بدائع الأسلوب القرآني العجيب! ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري: وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه... والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه، سواء كانت أصناما أو أوثانا أو أشخاصا! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده. وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير. وهو في الوقت نفسه يحمل أخطر الأمراض ويسلب أغلى النفائس: يسلب العيون والجوارح، وقد يسلب الحياة والأرواح... إنه يحمل ميكروبات السل والتيفود والدوسنتاريا والرمد... ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير!.» [٢]

تحمل هذه الآية المعجزة المتحدية دلالات علمية تتكشف للإنسان كلما ارتقى في سلم العلوم الكونية، ليصل إلى بعض ما تدركه العقول من شواهد البينات على عظيم قدرة الخالق ولطيف صنعته، فسبحان الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وبهر العقول بدقيق صنعته وبالغ حكمته.

في قوله تعالي: لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ

لاحظ العلماء أن أسهل مكونات بيولوجية ووراثية وأكثرها بدائية لكل المخلوقات على الأرض هي المكونات البيولوجية والوراثية في الذبابة، لأنها تتكون فقط من (٢٦) كروموسوم (١٣) للذكر و (١٣) للأنثى ....وتكوين الكروموسوم أبسط بكثير من كل المخلوقات على الكرة الأرضية .

فلو كان باستطاعة البشر خلق كائن حي واحد فقط ... فإن عليهم بمحاولة خلق ذبابة .. لأنها أبسط المخلوقات من ناحية الهندسة الوراثية والكيميائية والبيولوجية .

وتحمل بداخلها مصنعا ذاتيا لإنتاج الطاقة وهو يطير معها ويستطيع هذا المصنع تحويل أي نوع من أنواع القاذورات إلى طاقة. ويتمتع بدرجة عالية من الكفاءة، فتستطيع الذبابة أن تعيش أياما أو أسابيع على حبيبة صغيرة من السكر.

هذا فضلا عن أجهزة السمع والبصر والاستشعار الدقيقة، والأجهزة الهضمية والتناسلية، وجهاز الحركة

والطيران. فلا عجب أن المولى عز وجل قد اختار هذا المخلوق الضعيف كتحد للبشر أن يخلقوا مثله .

في قوله تعالى : ... وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً

«حركة الذبابة على درجة عالية من التعقيد إذ تبدأ في الاستعداد للطيران بتحديد العضلات التي سوف تستخدمها، ثم تأخذ وضع التأهب للطيران وذلك بتعديل وضع أعضاء التوازن في الجهة الأمامية من الجسم، حسب زاوية الإقلاع، واتجاه وسرعة الريح وذلك بواسطة خلايا حسية خاصة موجودة على قرون الاستشعار في مقدمة الرأس. وهذه العمليات المعقدة لا تستغرق أكثر من واحد من مائة من الثانية. ومن الغريب أن الذبابة لها قدرة على الإقلاع عموديا من المكان الذي تقف عليه، كما أن لها القدرة على المناورة بالحركات الأمامية والخلفية والجانبية بسرعة فائقة لتغيير مواقعها، وبعد طيرانها تستطيع الذبابة زيادة

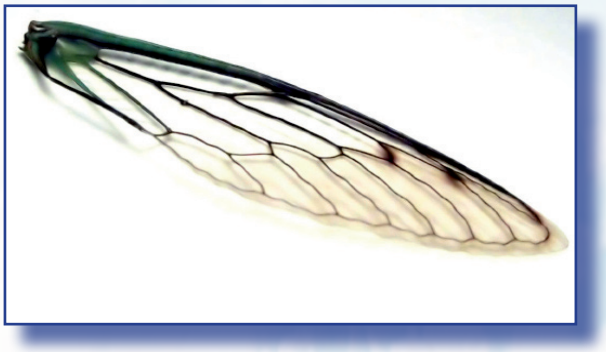

سرعتها إلى عشرة كيلو مترات في الساعة، وهي تسلك في ذلك مسارا متعرجا ثم تحط بكفاءة عالية على أي سطح بغض النظر عن شكله،وارتفاعه، واستقامته أو انحداره، وملاءمته أو عدم ملاءمته لنزول شيء عليه. ويساعد الذبابة على هذه القدرة الفائقة في المناورة جناحان ملتصقان مباشرة بصدرها بواسطة غشاء رقيق جدا مندمج مع الجناح؛ ويمكن لأي من هذين الجناحين أن يعمل بشكل مستقل عن الآخر، وإن كانا يعملان معا في أثناء الطيران على محور واحد إلي الأمام أو إلى الخلف يدعمهما نظام معقد من العضلات يعين هذين الجناحين على أن يتما إلى مائتي خفقة في الثانية (كما هو الحال في الذباب الأزرق)، وعليها أن تستمر على ذلك لمدة نصف الساعة وأن تتحرك لمسافة ميل كامل علي هذه الحال. وتستمد الذبابة مهاراتها الفائقة في الإقلاع، والطيران، والهبوط من التصميم المثالي لجسدها، ولأجنحتها إذ أن النهايات السطحية للأوردة المنتشرة في تلك الأجنحة تحمل شعيرات حساسة جدا لقياس ضغط الهواء واتجاه الرياح، كذلك فإن أجهزة الحس الموجودة تحت الأجنحة، وخلف رأس الذبابة تقوم بنقل معلومات الطيران إلى دمائها باستمرار ثم إلى رأسها الذي يرسل أوامره إلى العضلات باستمرار أيضا لتوجيه الأجنحة في الاتجاه الصحيح، وبذلك يتم توجيه الذبابة في أثناء الطيران بدقة وإحكام فائقين مما يعينها على إصابة الهدف، وتجنب المخاطر بكفاءة عالية.

ويعين الذبابة في ذلك أيضا عينان مركبتان، لا يزيد حجم الواحدة منهما على نصف المليمتر المكعب، وتتكون كل عين منهما من ستة آلاف عيينة سداسية لها القدرة على الرؤية في جميع الاتجاهات، وكل واحدة من هذه العيينات مرتبطة مع ثمانية أعصاب مستقبلة للضوء، اثنان منها للألوان، وستة متخصصة في ضبط تحركات الذبابة لأنها تكشف كل شيء في المجال البصري لها وبذلك يكون مجموع الخيوط العصبية في الواحدة من عيني الذبابة ما يقدر بـ ٤٨

ألف خيط عصبي يمكنها معالجة أكثر من مائة صورة في الثانية الواحدة.

هذا بالإضافة إلي مليون خلية عصبية متخصصة بالتحكم في حركة الذبابة من أعلى إلى أسفل وبالعكس، ومن الأمام إلى الخلف وبالعكس. كل ذلك يعين الذبابة على الانقضاض على الشراب أو الطعام فتحمل منه بواسطة كل من فمها والزغب الكثيف المتداخل الذي يغطي جسمها ما تحمل ثم تهرب مبتعدة في عملية

فلو كان باستطاعة البشر خلق كائن حي واحد فقط ... فإن عليهم بمحاولة خلق ذبابة ..

استلاب حقيقية بمعنييها: الاختلاس، ونزع الشيء على القهر» [٣]

في قوله تعالى : ... لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ... :

«يعرف العلماء اليوم من أنواع الذبابة حوالي ١٠٠ ألف نوع، وتنتشر هذه الأنواع من الذباب انتشارا هائلا في مختلف بيئات الأرض، وتسيطر على مساحات شاسعة من أماكن انتشارها سيطرة كاملة لا تمكن الإنسان من مجرد اجتيازها، فضلا عن العيش فيها.

ومن حيث الانتشار على الأرض تأتي الحشرات في المقام الأول بين مختلف مجموعات الحياة، ويأتي الذباب في المرتبة الثالثة بعد كل من النمل والبعوض. ولولا التوازن الدقيق الذي وضعه ربنا (تبارك وتعالى) بين مختلف مجموعات الحياة لغطت جيوش الذباب سطح الأرض بالكامل وجعلت الحياة عليها مستحيلة، وذلك لأن الذبابة تضع نحو ٤٠٠ بيضة في المرة الواحدة في المتوسط، وأن من أنواع الذباب ما يتكاثر بمعدلات أعلى من ذلك بكثير بحيث لو قدر لجميع بيضها أن يفقس، وأن يعيش كل ما يخرج منه ويتوالد لنتج عن الزوج الواحد من الذباب خلال فصل واحد من فصول السنة ما تعداده يفوق الرقم عشرة مسبوقا بستين صفرا، ولكن الله (تعالى) - من عظيم حكمته - يسلط من مخلوقاته مثل الطيور، والنمل، وغيرها ما يستهلك أغلب بيض الذباب كطعام له.

والذباب يتغذي عادة على النفايات المختلفة، وإن كانت أشربة الناس وأطعمتهم لا تسلم من هجماته، والذبابة المنزلية تتذوق الشراب أو الطعام بمجرد أن تحط عليه، وذلك بواسطة خلايا حساسة منتشرة في كل من شفتها وأقدامها فإن راقها سلبت منه ما تستطيع وهربت بسرعة فائقة كما يفعل اللصوص، فإن كان ما سلبته شرابا امتصته بواسطة خرطومها، ليصل إلى

جهازها الهضمي المزود بالقدرة على إفراز الخمائر القادرة على هضمه وتمثيله تمثيلا كاملا في ثوان معدودة، وبذلك لا يمكن استنقاذه منها. أما إذا كان الطعام صلبا فإن الذبابة المنزلية تفرز عليه من بطنها عددا من الإنزيمات والعصائر الهاضمة بالإضافة إلى لعابها، وهذه تبدأ في إذابة ما تقع عليه من الطعام الصلب فورا مما يمكن الذبابة من امتصاصه بخرطومها وبأجزاء فمها ذات الطبيعة الإسفنجية، ومن ثم لا يمكن استرجاعه أبدا، أو استنقاذه بأي حال

من الأحوال.

وحتى الذباب الذي يعيش على امتصاص بعض رحائق الأزهار أو امتصاص دماء غيره من الحشرات فإنه يقوم بتحقيق ذلك بواسطة خرطوم الفم الماص، وأجزائه الإسفنجية المهيأة لذلك.

هذا بالإضافة إلى أن جسم الذبابة مغطى بزغب كثيف متداخل يغطي كلا من رأسها، وصدرها، وبطنها، وأرجلها الست، وأقدامها، وجناحيها، فإذا غطت نفسها في سائل من السوائل أو مسحوق من المساحيق حمل هذا الزغب منه ما لا يمكن استنقاذه أبدا.

في قوله تعالى : ... ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ:

من الثابت علميا أن البشرية كلها عاجزة كل العجز عن خلق خلية حية واحدة في الزمن الراهن ـ زمن التقدم العلمي والتقني المذهل وغير المسبوق في تاريخ البشرية كله ـ وهي بالتالي أعجز عن خلق ذبابة واحدة، ونحن نعلم اليوم أن جسد الذبابة مكون من ملايين الخلايا المتخصصة، الموزعة في أنسجة متخصصة، وفي أجهزة متعددة تعمل في توافق تام من أجل حياة هذه الحشرة الصغيرة، التي ينقسم جسمها إلى رأس، وصدر، وبطن، وهو مكون من حلقات مغطاة بزغب كثيف، ومزودة بثلاثة أزواج من الأرجل، وبأقدام مغطاة أيضا بزغب كثيف على هيئة الخف تفرز مواد لاصقة تعين الذبابة على الالتصاق بأي سطح من الأسطح بهيئة معتدلة أو مقلوبة كالتصاقها بأسقف الغرف.

وإذا علمنا أن بجسم الذبابة أكثر من مليون خلية عصبية متخصصة بتحركات تلك الحشرة الضعيفة، وأن هذه الخلايا العصبية مرتبطة بثمانية وثلاثين زوجا من العضلات منها سبعة عشر زوجا من هذه العضلات لحركة الجناحين، وواحد وعشرون زوجا لحركات الرأس. وإذا علمنا أيضا أن للذبابة زوجا من العيون المركبة التي تتكون الواحدة منهما من ستة آلاف عيينة سداسية، يتصل بكل واحدة منها ثمانية خيوط عصبية مستقبلة للضوء بمجموع ٤٨ألف خيط عصبي للعين الواحدة يمكنها معالجة مائة صورة

في الثانية الواحدة. وإذا فهمنا غير ذلك من الأجهزة المتخصصة وتعقيداتها في جسم الذبابة لأدركنا مدى التحدي الذي أنزله ربنا تبارك وتعالى» [٤]

الهامش:

[١] الفكرة مستفادة من كتاب : التجديد في دراسة علم التوحيد ـ د. محمد بن يعيش

[٢] في ظلال القرآن : سيد قطب رحمه الله

[٣] موقع زغلول النجار (بحث له)

[٤] المصدر نفسه .

من أقوال السلف

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أقوالُ الملاحدةِ كُفرٌ متناقضٌ باطلٌ في العقل والدين»

مجموع الفتاوى (٢/ ٣٤٤)

روي عن عيسى عليه السلام أنه قال: «مَنْ ذا الذي يبني على موج البحر دارا؟ تلكمُ الدنيا فلا تتخذوها قَرارا»

جامع العلوم والحكم (٣٣٢)

قال علي رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى وطول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيصدُّ عن الحق، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرة. ألا وإن الدنيا ارتحلتْ مُدبِرَة»

البخاري- الفتح١١(٢٤٠)

قال أحدهم: «إن أحبَّ الأشياء إلى ابن آدم نفسُه، فهو راغب في بقائها فأحبَّ لذلك طول العمر، وأحب المال لأنه من أعظم الأسباب في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالبا طول العمر، فكلما أحسَّ بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه»

فتح الباري (١١/٢٤٥)

من هنا تبدأ القصة:

يقول الله تعالى في سياق قصة امرأة عمران، وهي والدة مريم عليها السلام: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٥- ٣٦].

إن امرأة عمران - وهي أم مريم - قد نذرت أن يكون مولودها القادم خادما لبيت المقدس، فلما وضعت مولودها بنتاً، قالت معتذرة: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) لأن الموكلين بخدمة بيت المقدس كانوا من الذكور ولأن قدرة الذكر على خدمة بيت المقدس والقيام بأعباء ذلك أكثر من الأنثى التي جبلها الله تعالى على الضعف البدني، وما يلحقها من العوارض الطبيعية التي تزيدها ضعفاً: كالحيض والنفاس.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «**كان في هذا الكلام نوع تضرع منها وانكسار نفس حيث كان نذرها بناء على أنه يكون ذكرا يحصل منه من القوة والخدمة والقيام بذلك ما يحصل من أهل القوة، والأنثى بخلاف ذلك، فجبر الله قلبها وتقبل الله نذرها وصارت هذه الأنثى أكمل وأتم من كثير من الذكور، وحصل بها من المقاصد أعظم مما يحصل بالذكر**».

ويقول الشيخ د.عمر المقبل حفظه الله: «**ومن اللطائف في تركيب هذه القاعدة: أن الله تعالى قال: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) مع أنه لو قيل:**

«وليست الأنثى كالذكر» لحصل المقصود، ولكن لما كان الذَّكر هو المقصود قُدّم في الذِّكر؛ ولأنه هو المرجو المأمول فهو أسبق إلى لفظ المتكلم» (١).

ولقد بين القرآن هذا التفاوت بين الجنسين في مواضع كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ﴾ وهم الرجال (عَلَى بَعْضٍ) وهن النساء، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، **«وذلك لأن الذكورة كمال خلقي، وقوة طبيعية، وشرف وجمال، والأنوثة نقص خلقي، وضعف طبيعي، كما هو محسوس مشاهد لجميع العقلاء، لا يكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس، وقد أشار جل وعلا إلى ذلك بقوله: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف:١٨]؛ فالأنثى تنشأ في الحلية، أي: الزينة - من أنواع الحلي والحلل - لتجبر بذلك نقصها الخَلْقي»** (٢).

بل يقال: إن بعض ما جبل الله عليه الأنثى هو نوع من الكمال في حقها، وإن كان نقصاً في حق الرجال، **«ألا ترى أن الضعف الخَلْقي والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال، مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب»** (٣).

هذا هو حكم الله القدري: أن الذكر ليس كالأنثى، وهذا حكم الأعلم بالحِكَم والمصالح، هذا كلام الذي خلق الخلق، وعَلِمَ ما بينهم من التفاوت والاختلاف: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، وقد تفرع على ذلك:

اختلاف بين الذكر والأنثى في جملة من الأحكام الشرعية وإن كانا في الأصل سواء.

شمس وقمر!

وإذا كانت الشمس ترسل أنوارها الضعيفة أول النهار، ثم تصل إلى قمة القوة وسطه، ثم يندثر نورها عند آخره، وإذا كان القمر يظهر أول الشهر ثم ينزوي ويغيب آخره، فما هذه المظاهر إلا قصة الإنسان على هذه الأرض، حيث يُولد ثم يشتدّ ويقوى ثم يضعف إلى أن ينتهي ويموت فسبحان الله العظيم.

ويثبت العلم الحديث أنه لا يمكن للشمس أن تخرج على نواميسها فتلحق القمر وتدخل في مداره ولا يمكن أن يتلاقيا، بل هما متعاقبان وكل يسبح في أفلاك لا يخرج عنها. إن قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته قد أودعت في كل شيء خلقه صفاته الخاصة التي تؤهله لأداء وظيفته التي خلق لها ومن أجلها والدور الذي أهلته له مقوماته وقدراته واستعداداته بصورة مدهشة تجعلنا نقر بعظمة الله جل جلاله ووحدانيته.

ويرتبط الضياء بالشمس، سراج الحياة، ومصدر الدفء، تشع ضياء، كالسراج الوهاج، ويرتبط النور بالقمر، يتبعها ويخلفها في الإنارة بعد غروبها آخذا من نورها ليعكسه علينا وهذا من كمال رحمته بالعباد.

هذه الأنوار زينة وجمال، وبها منافع، يشرقان كل يوم على شيء جديد، يبددان الظلمات ويضيئان لنا طرق الحياة، ويكشفان ما خفي علينا من الأمور.

فالشمس والقمر تضمنت النور والارتفاع ولكنها متفاوتة في نورها بحسب التفاوت في التكليف والمسؤولية. الشمس ترمز للقوة والنضارة وهي مصدر النور والدفء، وكل ذلك موافق لصفات الرجل المتصف بالقوامة والمسؤولية عن الأسرة، أما القمر فنوره أضعف بل هو يستمد النور من الشمس. وهذا يرمز إلى أن المرأة تعيش في ظل الرجل وكنفه، حتى أنه ملزمٌ بالإنفاق عليها ورعايتها. وبينما توحي الشمس بالقوة، يوحي القمر بالرقة والحنان واستثارة المشاعر الإنسانية، فللقمر جمال خاص وجاذبية، وكل هذه الصفات من خصائص المرأة

ومميزاتها كما أن القمر يوحي بالاطمئنان والسكينة وكذلك الزوجة فإنها سكن وطمأنينة للزوج. هذا إذا رُمز للرجل بالشمس، ورُمز للمرأة بالقمر خارج البيت، أما داخل البيت فيتبادلان الأدوار.

قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣].

الإسلام دين العدل لا دين المساواة !

وهذا ما فعله من يطالبون بالمساواة بين الرجل والمرأة في أحكام الرجل وأحكام المرأة إذ ساووا بينهما، معتقدين أنهم بهذه الطريقة ينصرون المرأة المسلمة، محملينها ما لم يُحمّلها الله.

فالمساواة المطلقة لا وجود لها إلا في أذهانهم، وهي مخالفة ومعاندة لقضاء الله الشرعي والقدري.

لأن الله سبحانه فاوت بين مخلوقاته، ويسر كلّ مخلوق لما خُلق له، وفاوت كذلك بين من أطاع أمره ممن خالفه، فجعل لكل واحد أحكامه التي تخصه بسبب اختياره وعمله.

ولو وفق هؤلاء لقيدوا مساواتهم تلك ولم يُطلقوها، فقالوا مثلا : الناس متساوون في الخلقة، أو متساوون في حب زينة الحياة الدنيا، أو في كراهية الظلم .. الخ مما جاءت الشريعة بتقرير المساواة فيه بين الناس.

ومثل ذلك في قضية الرجل والمرأة ؛ فتقيد المساواة ولا تُطلق؛ فيقال مثلا: المرأة مساوية للرجل في التكليف، أو في الجزاء الأخروي .... وهكذا، مما جاءت الشريعة بتقرير مساواتهما فيه.

أما الإطلاق فلا لأنه يلبس على الناس، ويعارض قضاء الله وأحكامه لأن العدل وضع الشيئ في موضعه الذي أراده الله له ، دون مجاوزة أو نقص.

وقد نبه الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله على هذه المسألة في دروسه وكتبه، إذ أفاد وأجاد في تقريرها.

ومن ذلك قوله رحمه الله في «شرح العقيدة الواسطية»: «**إن من الناس من يستعمل بدل العدل المساواة؛ وهذا خطأ، لا يقال: مساواة؛ لأن المساواة تقتضي التسوية بين شيئين، الحكمة تقتضي التفريق بينهما، ومن أجل هذه الدعوة الجائرة إلى التسوية صاروا يقولون: أي فرق بين الذكر والأنثى؟ سووا بين الذكور والإناث، حتى إن الشيوعية قالت: أي فرق بين الحاكم والمحكوم؟ لا يمكن أن يكون لأحد سلطة على أحد حتى بين الوالد والولد، ليس للوالد سلطة على الولد، وهلمَّ جرّا.**

لكن إذا قلنا بالعدل وهو «إعطاء كل أحدٍ ما يستحقه»: زال هذا المحذور، وصارت العبارة سليمة، ولهذا لم يأت في القران أبداً: «إن الله يأمر بالتسوية» لكن جاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾.

وكذب على الإسلام مَن قال: إن دين الإسلام دين المساواة، بل دين الإسلام دين العدل، وهو الجمع بين المتساوين والتفريق بين المفترقين.

أما أنه دين مساواة فهذه لا يقولها مَن يعرف دين الإسلام، بل الذي يدلك على بطلان هذه القاعدة أن أكثر ما جاء في القرآن هو نفي المساواة: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ

أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾، ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾.

ما جاء ولا حرف في القرآن يأمر بالمساواة أبدًا إنما يأمر بالعدل، وكلمة العدل أيضا تجدونها مقبولة لدى النفوس، فأنا أشعر أن لي فضلاً على هذا الرجل بالعلم، أو بالمال، أو بالورع، أو ببذل المعروف، ثم لا أرضى بأن يكون مساوياً لي أبدًا»(٤) .. اهـ كلامه رحمه الله.

وهذه بعض الأحكام الشرعية التي يختلف فيها الرجل عن المرأة (٥):

١- **الميراث:** قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم﴾.

٢- **الشهادة** وفيها تفصيل كما يأتي:

أ- لا تُقْبَل شهادة النساء في القصاص والحدود كافةً كحد الشُّرْب وقطع الطريق والقتل بالرِّدة وكذلك التعزيز فلا بد في كل هذه من شهادة رجلين إلا الزنا واللواط وإتيان البهائم فلا يُقْبَل فيها أقلُّ من أربعة رجالٍ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾.

ب- ما يَطَّلِع عليه الرجال عادة كالنَّسب والطلاق والرَّجْعة والخُلْع والولادة والنكاح والوصية والتوكيل في المال فلا بد فيها من شهادة رجلين.

ج- المعاملات المالية كالبيع والقَرْض والإجارة والرهن والوديعة والإقرار والغَصْب والوقْف، وكذلك قتل الخطأ لأن حقًا ماليًا يترتب عليه، فيكفي في هذا كله رجلان أو رجل وامرأتان لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

د- ما لا يطَّلِعُ عليه الرجال عادةً وتَغْلِب على النساء معرفته والاطلاع عليه فتُقْبَل فيه شهادة امرأتين كعُيُوب النساء تحت ثيابهن والولادة والبَكارة والثيوبة والقرْن (انسداد مَحَل الجماع بِعَظْم) والرتق (انسداد محل الجماع بلحم) والبَرَص.

ولا يصح ما رُوِي عن حُذَيفة «أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة القابلة وحدها».

هـ- الرضاعة: وتقبل فيها شهادة امرأة واحدة عدل لقوله صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه البخاري من حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه «كَيْفَ وَقَد زَعَمَتْ أنها قد أرْضَعَتْكُما» وتَرجم له البخاري بقوله: «باب شهادة المُرْضِعة».

و- رؤية هلال رمضان وتُقبل فيه شهادة رجل مسلم واحدٍ عدلٍ أو شهادة مسلمةٍ واحدةٍ على السواء.

٣- **العقيقة:** وهي ما يُذْبح من الأنعام عند الولادة إذ يُعَق عن الذكر شاتان وعن الأنثى شاة. قال صلى الله عليه وسلم «عَنِ الغُلامِ شاتان مُكَافِئتانِ وعن الجارية شاة».

٤- **الجهاد بالنفس** فلا يجب على المرأة، وإنما تُجاهد بِمالها وكذلك بالحج «فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل على النساء جهادٌ؟ قال: نعم عليهن جهادٌ لا قتال فيه: الحَج والعُمرة».

٥- **زيارة القبور.**

٦- **العورة:** ففي حين أن عورة الرجل من السرة إلى الركبة فإن المرأة كلها عورة في النظر. وينشأ عن هذا الفرق تَفْرِقةٌ في اللباس. ذلك أن

المرأة مأمورةٌ بستر جسدها كله. وفي حين أن الرجل مأمورٌ بألا يتجاوز ثوبه كعبيه والأفضل أن يكون لمنتصف ساقيه فإن للمرأة رخصةً في جر الإزار لأنه يكون أستر لهن قال صلى الله عليه وسلم:«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهَ خُيَلاء، لَمْ يَنْظُرِ اللّهُ إليه يومَ القِيامةِ فَقالتْ أُمُّ سَلمةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعُ النساءُ بِذيُولِهِنَّ؟ قال: يُرْخِينَ شِبْرًا، فقالت: إذَنْ تَنْكَشِفُ أقْدامُهنَّ، قال: فَيُرْخِيْنَهُ ذِراعًا لا يَزِدْنَ عَلَيه».

٧- **بول الصبي والصبية:** ذلك أن بول الصبي الذي لم يُجاوز سنَتَين يكفيه النَّضْح. أما بول الصبية فلا بد فيه من الغَسل، قال صلى الله عليه وسلم «بول الغُلام يُنْضَح، وبول الجارية يُغْسَل».

٨- **السفر:** فلا يجوز للمرأة أن تسافر سفرًا مُعتَبَرًا عُرْفًا إلا بِصُحبَة زَوج أو مَحْرَم حتى لو كان السفر للحج. وما ذهبت إليه بعض المذاهب من جواز سفرها في رِفْقَة النساء فلا يصح، وذلك لمعارضَتِهِ للأحاديث الصحيحة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تُسافر امرأةٌ إلا مع ذي مَحْرَم ولا يَدْخُلُ عليها رَجُلٌ إلا ومَعَها مَحْرَم».

٩- **ومما تفترق به المرأة عن الرجل اختصاص الأم بقدْرٍ زائدٍ من البرِّ عن الأب.** فعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: «جاء رَجُلٌ إلى رسُول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال: مَنْ أحَقُّ الناس بِحُسْن صَحابَتي؟ قال أُمُّكَ. قال: ثُم مَن؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أبوك» . وعن المُغِيرة بن شُعْبة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ اللّه حَرَّمَ عليكُم عُقوقَ الأمهات ووأْدَ البنات». فَخَص الحديثُ بالذكر عقوق الأمهات عِلمًا بأن عقوق الوالدين كليهما مُحَرَّمٌ.

١٠- **ومما تفترق فيه النساء عن الرجال أنه ليس لهن وسَط الطريق،** وأنه ينبغي عليهن اجتناب الرجال في الطُّرُقات قال صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ للنساءِ وَسَطُ الطريق».

١١- **اختصاص البنات بقدْرٍ زائدٍ في التربية عن الأبناء.** قال صلى الله عليه وسلم: «من كان له ثلاثُ بناتٍ، فَصَبَر عليهنَّ، وأطْعَمَهُنَّ وسقاهُنَّ وكساهُنَّ من جِدَتِه، كُنَّ له حِجابًا مِنَ النارِ يومَ القِيامة»، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ابْتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ، فأحْسَنَ إليهنَّ، كن له سِتْرًا من النار».

١٢- **تقديم النساء على الرجال في الحضانة،** ذلك أنه في حالة افتراق الزوجين عن بعضٍ فإن الأم أحق بحضانة الأولاد من الأب ما لم تتزوج، فعن عمرو بن العاص أن امرأةً قالت: «يا رسولَ اللّهِ إنَّ ابْني هذا كان بطْني له وِعاءً وحِجْري له حِواءً، وثَدْيي له سِقاءً، وزَعم أبوه أن ينْزِعَه منِّي، فقال رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم: أنتِ أحقُّ بِهِ ما لم تُنْكحي».

١٣- **الاغتسال في الحمامات العامة:** فقد حَرَّمهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء. ومن أباحَهُ من الفقهاء للنُّفَساء والمريضة فقد استدل على ذلك بحديثٍ غير صحيح. والصواب أن دخول المسلمة الحمام العمومي لا يصح. ولو بمئزرٍ لما ثبت في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «مَن كان يُؤْمِنُ باللّه واليوم الآخِر فلا يدْخُلِ الحَمَّامَ بغيرِ إزارٍ، ومَن كان يؤمن باللّه واليوم الآخِر فلا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الحمام، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلا يَجْلِسْ على مائدةٍ يُدارُ عليها الخَمْرُ» .

١٤- **الملاعنة:** فهي خاصة بالرجل دون المرأة. فللرجل أن يَشْهَد أربع شهاداتٍ على زوجته بالزنا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

وبما أنه لم يَرِدْ نَصٌّ بخصوص قذف المرأة لزوجها بالزنا فيظل الحكم كما هو، أي أنه يُطْلَب منها إحضار ما يَكْمُل به نِصاب الشهادة وإلا جُلِدت حد القذف.

١٥- **الولاية في الزواج:** فليس للمرأة أن تُزوِّج امرأةً أُخْرى، ولا أن تُزَوِّج نَفْسَها قال صلى الله عليه وسلم: «لا تُزوِّج المرأةُ المرأةَ، ولا تُزَوِّج المرأةُ نَفْسها».

١٦- **وجوب استئذان الزوجة زوجها إن أرادت أن تصوم تَطَوُّعًا** في حين لا يجب عليه أن يستأذنها إن أراد أن يفعل ذلك.

١٧- **التعدد في الزواج:** فقد أباح الشرع الإسلامي للرجل أن يتزوج أربعاً دون أن يبيح للمرأة أن تتزوج بأكثر من رجل. ولا يصح أبدًا التساؤل عن الحكمة في ذلك؛ لأنه أمرٌ واضحٌ لا يحتاج لجواب، فاختلاط الأنساب أمرٌ واردٌ في تَعَدُّدِ الأزواج دون تعدد الزوجات.كما أن الفِطرة والذَّوق البشريَّين يَسْتهجِنانِ أشد الاستهجان تعدد الأزواج بينما يَقْبلان تعدد الزوجات.

١٨- **ولاية أمور المسلمين** ويشمل المنع من السياسة والقضاء قال صلى الله عليه وسلم «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُمُ امْرأةً».

١٩- **التعطُّر خارج المنزل** فَيَحْرُم عليها ذلك بخلاف الرجل، قال صلى الله عليه وسلم: «أيُّما امرأةٍ استَعْطَرَت ثم خرجت، فَمَرَّت على قَومٍ لِيَجِدوا رِيْحَها فهي زانيةٌ، وكلُّ عَينٍ زانية».

٢٠- **إباحة الذهب والحرير**، فهو أمرٌ خاص بالنساء دون الرجال. قال صلى الله عليه وسلم: «حُرِّمَ لِباسُ الحريرِ والذَّهَبِ على ذُكورِ أُمَّتِي وأُحِلَّ لإناثِهِم».

٢١- **الحداد**، فلم يُشْرَع للرجل على زوجته المتوفاة، وشُرِع للمرأة على زوجها المتوفَّى. قال صلى الله عليه وسلم: «لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤْمِنُ باللّه واليوم الآخِرِ أن تَحِدَّ على مَيتٍ فَوقَ ثلاثِ لَيالٍ، إلا الزوج، فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا».

٢٢- **العدة** للمُتوفَّى عنها زوجها والمطلقة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾. وليس على الرجل عِدةٌ لكنه يُمْنَع من الزواج حتى تنتهي عدة زوجته الرابعة.

٢٣- **اتباع الجنائز**، لنهي النبي صلى الله عليه وسلم النساء عن اتباع الجنائز وهو ماصح عن أم عطية رضي الله عنها قولها: «نهانا رسول اللّه عن اتباعِ الجنائز..». أما الرجال فإن اتباع الجنائز في حقهم مُستَحَبٌ.

٢٤- **إنزال الميت في القبر**: فهو خاص بالرجال يَتَوَلَّوْنَه.

٢٥- **اقتسام غنائم الحرب:** فالمرأة ليست مُكَلفةً بالقتال، لكن إذا أَذِن لها الإمام واشتركت في المعركة يُرضَخ لها إن قاتلت؛ بمعني أن الإمام يعطيها عطاءً غير محدد، لكن دون أن تُعْطَي حِصةً كحِصَص المُقاتلين.

٢٦- **الختان:** ففي حين أن الختان فَرْضٌ على كل مسلم ذكر، فإنه ليس كذلك بالنسبة للنساء فلا يُخْتَن إلاَّ إن ظهرت لختان بعضهن حاجة. أما إن لم تكن حاجة فلا ختان، وذلك يختلف من امرأةٍ لامرأة.

٢٧- **وثَقْب الأُذُنِ جائزٌ** بحق النساء حرامٌ على الذكور؛ لأنهم ممنوعون من جَعْل الأقراط في آذانهم.

٢٨ـ خَضْب يديها ورجليها بالحناء: وفي حين أن للمرأة خَضْب يَدَيْها ورِجْليها بالحناء فإنه ليس للرجل أن يفعل ذلك قال صلى الله عليه وسلم «طِيْبُ الرَّجلِ ما ظَهَرَ رِيْحُه وخَفِيَ لَوْنُه، وطِيب النساء ما ظهر لونه وخَفِيَ ريحه».

٢٩ـ ولا يجوز للمرأة أن تحْلِق رأسها بخلاف الرجل؛ لما في ذلك من المُثْلَة، ولما فيه من التشبُّه بالرجال وكل ذلك مُحرَّم.

٣٠ـ استحقاقها المهر عند الزواج وليس ذلك للرجل.

ومن دراسة الفروق الآنفةَ الذِكْرِ بين الرجل والمرأة نجد أن تلك الفروق راجعةٌ لأسبابٍ معينةٍ اقتضاها العدل بين الجنسين، وأن المساواة بينهما في مثل هذه الحالات من التفريق تؤدي إلى الظلم. ولذا فإن كل مساواةٍ يقتضيها العدل وتقتضيها الفطرة حققها الإسلام فعلاً بين الجنسين كالمساواة في الكرامة الإنسانية وفي أصل التكليف وفي الثواب والعقاب. أما التكاليف الشرعية فقد سَوَّى الإسلام بين الرجل والمرأة في كل ما من شأنه أن لا يُلْحِق ظلمًا بأحدهما بتحميله فوق طاقته. أو بتكليفه بما لا يتناسب مع طبيعته الذَّكَرية أو الأُنثوية؛ كإعفاء المرأة من الجهاد، والاختلاف في اللباس نظرًا لاختلاف أجساد الجنسين. وإن الفاحص لكثيرٍ من الفروق بين الجنسين في التكاليف يجد أنها من باب التنوع والاختصاص في المهام والوظائف. فهما يكملان بعضهما بعضاً والمجتمع بحاجةٍ لكِليهما، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال: «النساء شقائقُ الرجال».

الأمر كل الأمر جواب نسمعه منك أنت فالفضل فيك لكِ والحكم عليك لا يكون إلا منك !

لما أصرت بعض المجتمعات الغربية على هذه المصادمة للفطرة، وبدأت تساوي المرأة بالرجل في كل شيء ذاقت ويلاتها ونتائجها المرة، حتى صرخ العقلاء منهم رجالاً ونساء وكتبَوا الكتب والرسائل التي تحذر مجتمعاتهم من الاستمرار وراء هذه المصادمة، ومن ذلك:

١ ـ ما قالته أفيسون زعيمة حركة كل نساء العالم تقول: «**هناك بعض النساء حطمن حياتهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل، إن الرجل هو السيد المطاع، ويجب على المرأة أن تعيش في بيت الزوجية، وأن تنسى كل أفكارها حول المساواة**» (٦).ا.هـ.

٢ ـ وهذه هيلين أندلين وهي خبيرة في شؤون الأسرة الأمريكية تقول: «**إن فكرة المساواة ـ التماثل ـ بين الرجل والمرأة غير عملية أو منطقية، وإنها ألحقت أضراراً جسمية بالمرأة والأسرة والمجتمع**» (٧). أ.هـ.

٣ ـ أما رئيسة الجمعية النسائية الفرنسية رينيه ماري فتقول: «**إن المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة تصل بهما إلى مرحلة الضياع، حيث لا يحصل أحد من الطرفين على حقوقه**» (٨). أ.هـ.، ولو رجعنا إلى لغة الأرقام التي أجريت في بلاد الغرب لطال بنا المقام.

٤ـ وهذه كلمات قالتها امرأة من أشهر دعاة الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة في منطقة الخليج: «**سأعترف اليوم بأنني أقف في كثير**

من الأشياء ضد ما يسمى بـ (حرية المرأة) تلك الحرية التي تكون على حساب أنوثتها، على حساب كرامتها، وعلى حساب بيتها وأولادها، سأقول: إنني لن أحمّل نفسي كما تفعل كثيرات مشقة رفع شعار المساواة بينها وبين الرجل، نعم أنا امرأة!».

ثم تقول: **«هل يعني هذا أن أنظر إلى البيت الذي هو جنة المرأة على أنه السجن المؤبد، وأن الأولاد ما هم إلا حبل من مسد يشد على عنقي؟ وأن الزوج ما هو إلا السجان القاهر الذي يكبّل قدمي خشية أن تسبقه خطوتي؟ لا، أنا أنثى وأعتز بأنوثتي، وأنا امرأة أعتز بما وهبني الله، وأنا ربة بيت، ولا بأس بعد ذلك أن أكون عاملة أخدم خارج البيت ونطاق الأسرة، ولكن– ويا رب أشهد!: بيتي أولاً، ثم بيتي، ثم بيتي، ثم العالم الآخر»** (٩) انتهى.

وبعد هذا كله: فماذا يقال عمن سوّى بين الذكر والأنثى، والذي خلقهما يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾؟!.

ثم إن التاريخ والواقع يكذب هذه المقولة من جهتين:

الأولى: أن تكوين المرأة النفسي والبدني (الفسيولوجي) لم يتغير منذ خلق الله تعالى أمنا حواء من ضلع أبينا آدم، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها! ولم يربط الله تعالى ذلك بعلمٍ تتعلمه، أو بشهادة تحصل عليها.

والجهة الثانية لبيان خطأ هذه المقولة:

أن هذا الحكم يدخل فيه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن وعلى رأسهن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهن بلا ريب أعلم نساء هذه الأمة، وأتقاهن، ومع ذلك لم تعترض واحدة منهن على هذه الأحكام الشرعية التي سمعنها مباشرة من زوجهن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، بل قابلن ذلك بالانقياد والتسليم، والرضى والقبول، وجرى على هذا الهدي من سار على نهجهن من نساء المؤمنين إلى يومنا هذا.

الهوامش:

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٨٦/٣

(٢) ينظر: أضواء البيان ٤٩٨/٣ ط.الراجحي

(٣) ينظر: أضواء البيان ٥٠١/٣ ط.الراجحي

(٤) شرح العقيدة الواسطية (١ / ١٨٠-١٨١)

(٥) كتاب الدكتور مروان القيسي «المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين» بتصرف (١٢٣-١٣٤) (٦) المرأة في المؤتمرات الدولية، للعبدالكريم» (١٠٢-١٠٥)

(٧) نفس المصدر السابق

(٨) نفس المصدر السابق

(٩) هي الكاتبة ليلى العثمان، ينظر: رسائل إلى حواء ٨٥/٣.

المراجع

(١) تفسير التحرير والتنوير الجزء الثالث

(٢) قواعد قرآنية / القاعدة التاسعة والقاعدة العاشرة للشيخ / د.عمر بن عبد الله المقبل

(٣) ثقافة التلبيس (٧): الإسلام دين العدل لا المساواة للشيخ / سليمان الخراشي

(٤) مقالات متنوعة

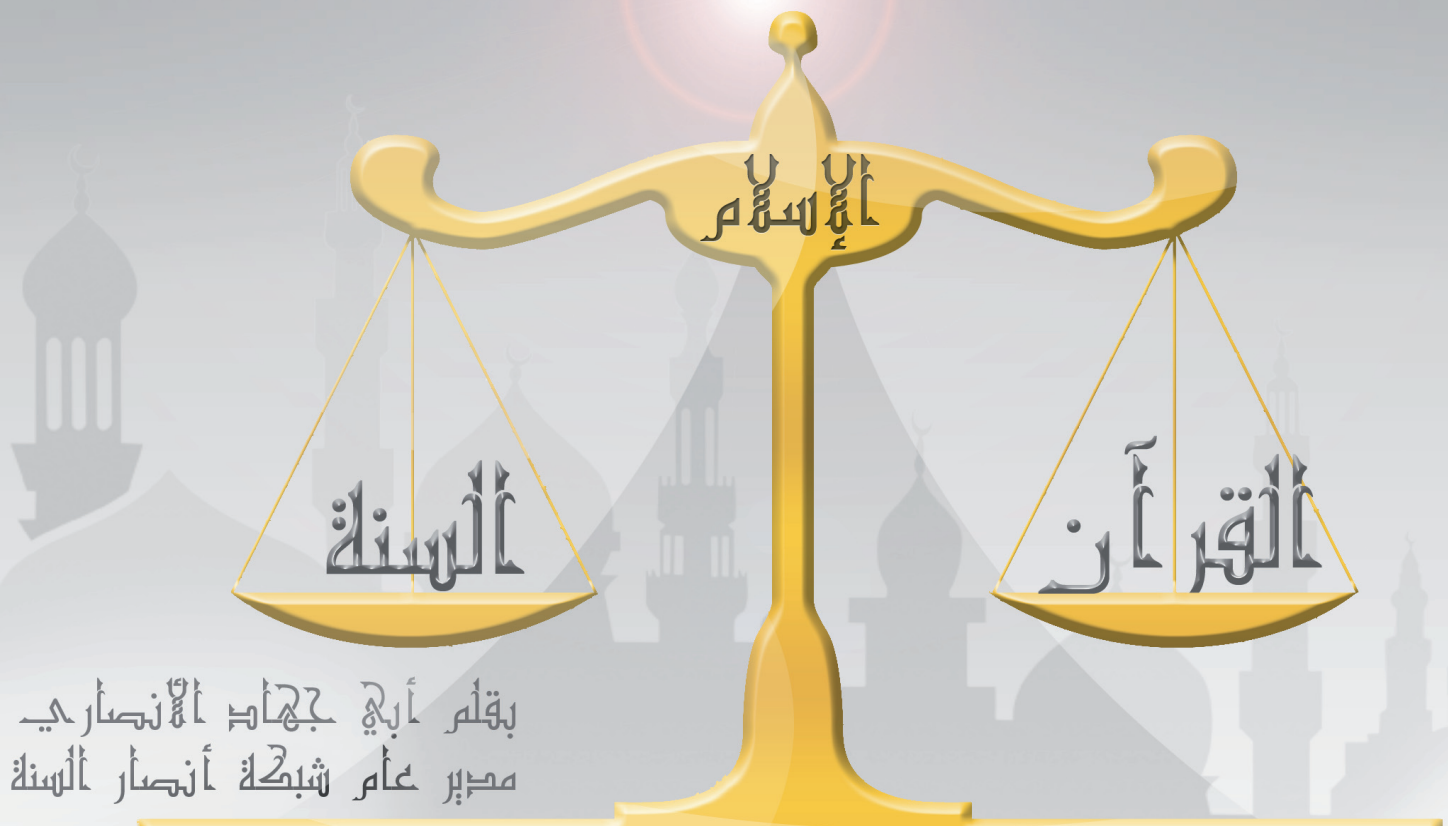

بقلم أبي جهاد الأنصاري
مدير عام شبكة أنصار السنة

الأدلة القرآنية على حجية السنة النبوية

الحلقة الخامسة

الحمد لله وكفي ، وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفي ، ونبيه المجتبى ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى. أما بعد ..

فمع حلقة جديدة من سلسلة الأدلة القرآنية على حجية السنة النبوية.

وصف النبي ﷺ ومهامه في القرآن الكريم ودلالته على حجية السنة النبوية.

أولاً : أوصاف النبي ﷺ في القرآن الكريم

يقول الحق جل وعلا : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤)﴾ [إبراهيم]

ويقول جلا وعلا : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف : ٧]

ويقول المثل السائر: «**كل معين ينضح بما فيه**» فالمعين الحسن ينضح بما لذ وطاب ، والعكس بالعكس.

وإذا تأملنا أوصاف النبي ﷺ في القرآن الكريم لأدركنا – بما لا يدع مجالاً لشك – أنها دليل قاطع على حجية السنة النبوية.

فقد زكّى الله سبحانه صدر نبيه وقال عنه : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١)﴾ [الشرح] وأثنى على بصره في أصعب المواقف فقال : ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)﴾ [النجم]، وأثنى على فؤاده فقال جل من قائل: ﴿ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)﴾ [النجم] ، وتكفل برعايته فقال له: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾ [الضحى] وأكد على علو شأنه وعظم خُلُقِه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم] وأخبره أنه في حفظه وكلأته ورعايته فقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور : ٤٨] وأثنى على لسانه فقال : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ [النجم]

فإنسان بأعين ربه وشرح الله صدره ، وحسّن الله خلقه ونفي عنه أن ينطق عن هوى ، أفلا يستحق أن يُؤثر عنه قوله ويُتبع فعله ، ويُقتدى بأمره ، ويُجتنب نهيه؟ فإن قيل : لا ، أجبنا بأن هذا كفر بالقرآن الكريم ، وإذا قيل : نعم ، قلنا : فهذه هى سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا أعدنا النظر في الآيات السابقة وجدنا أنها تتوافق مع تعريف السنة النبوية ، بنداً بنداً ، فالسنة اصطلاحاً هى : أقوال وأفعال النبي ﷺ ووصفه الخُلُقى والخِلقى.

فالسنة حسب هذا التعريف هى :

١- أقوال النبي ﷺ .

٢- أفعاله ﷺ .

٣- وصفه الخُلُقي ﷺ .

٤- وصفه الخِلقي ﷺ .

فأما عن أقواله فقد زكاها الله في قوله : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ [النجم]

وأما عن فعله فقد زكاه الله تعالى بقوله له : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣)﴾ [الضحى] و: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور : ٤٨]

وأما عن خلقه فزكاه رب العالمين بقوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم]

حتى وصفه بعض الواصفين بقوله :

خُلقتَ مبرأً من كل عيبِ

كأنك قد خُلِقت كما تشاءُ

ثانياً : مهام النبي ﷺ في القرآن الكريم

هذا من حيث وصف النبي ﷺ في القرآن الكريم ، ولكن الأمر لا يقتصر على الوصف فحسب ، بل يتعداه إلى ذكر مهام ووظائف ، وإذا تتبعنا آي القرآن الكريم لوجدنا أن للنبى ﷺ عشرات المهام والوظائف التى تحدث عنها القرآن نذكر منها :

١- **النبوة وختمها :** قال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)﴾ [الأحزاب]

٢- **الرسالة للناس كافة :** قال تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف : ١٥٨]

٣- **البعثة :** قال تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران]

٤- الشهادة : قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ [الأحزاب : ٤٥]، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾[الفتح : ٨]

٥- **البشارة :** قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾[الأحزاب : ٤٥] وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا﴾ [الفتح : ٨]

٦- **النذارة :** قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥)﴾ [الأحزاب] وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) } [الفتح]

٧- **التبليغ :** قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة : ٦٧]

٨- **التعليم :** قال تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران] ، وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢)﴾ [الجمعة]

٩- **الدعوة :** قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل]

١٠- **الهداية :** قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢)﴾ [الشورى]

١١- **البيان :** قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾[النحل] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤)﴾ [النحل] لاحظ تنوع الألفاظ في التعبير عن المنزّل { الذكر } و { الكتاب } ليدل على تنوع المنزل ما بين قرآن وسنة.

١٢- **قراءة القرآن** : قال تعالى : ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦)﴾ [الإسراء]

١٣- **ترتيل القرآن :** قال تعالى : ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل : ٤] وهناك فرق بين القراءة وبين الترتيل ولا يُعرف هذا إلا بالتلقين الشفهي.

١٤- **الإخبار بالغيب :** قال تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)﴾ [البقرة]

١٥- **التزكية :** قال تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)﴾ [البقرة]

١٦- **التذكير :** قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾ [الذاريات]،وقال تعالى : { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) } [الأعلى] ، وقال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) ﴾ [الغاشية]

١٧- **الجهاد :** قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩]

١٨- القتال والتحريض عليه : قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥]

١٩- **جمع الصدقات :** قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣]

٢٠- الصلاة على المؤمنين : قال تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]

٢١- **العبادة :** قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)﴾ [الحجر]

٢٢- **الولاية :** قال تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } [الأحزاب : ٦]

٢٣- **الإمامة :** قال تعالى :﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ

بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء : ٧١]

٢٤- القضاء : قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)﴾ [الأحزاب]

٢٥- الحكم : قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾[النساء]

٢٦- المباهلة : قال تعالى : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ [آل عمران]

٢٧- الأسوة : قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب]

٢٨- الاستغفار للمؤمنين : قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)﴾ [المنافقون]

٢٩- القصص : ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف : ١٧٦] ولهذه الآية دلالة قوية ، فهذا القصص الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يقصه هنا ليس هو القصص الوارد في القرآن الكريم بل هو قصص السنة ، فلو فُهم على أنه الأول لكان عبثاً وحاشا لله ذلك أن المعروف لا يُعرّف ، وهو مذكور في القرآن ولا حاجة لأن يقول الله لنبيه: { اقصص القصص } فهو يُقص فعلاً بمجرد تلاوة القرآن، أما وأن الأمر قد جاء على هذا النحو فلا شك أنه يراد به قصص غير الذي جاء بالقرآن ألا وهو القصص الوارد في السنة عن أنبياء أو رسل أو صالحين لم يُذكروا في القرآن الكريم.

٣٠- **المجادلة بالحسنى :** قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل]

٣١- الوعظ : قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)﴾ [النساء]

وهناك الكثير والكثير من هذه المهام التى نعجز عن حصرها في هذا المقام الضيق والتى تسير على نفس هذا النحو.

والملاحظ أن كل هذه المهام هى مهام تتعلق بتبليغ شرع الله إما قولاً ولفظاً ، وإما مسلكاً وفعلاً. وإذا أعدنا النظر فيها لوجدنا أنها – جميعاً – مهام تبليغية اجتماعية ، تتعلق في المقام الأول بوجود آخرين تصلهم رسالة ويتم تعليمهم وتبليغهم. كما نلمس فيها الصبغة العملية في الأداء والتبليغ.

وبالإمعان أكثر نجد أن بعض هذه المهام التى كلف الله سبحانه وتعالى بها نبيه ، هى مهام وصف الله بها القرآن في مواضع أخرى.

وهنا وجب توجيه السؤال : إذا كان الله قد وصف القرآن بأنه هداية ونذارة وبشارة وبيان ثم أعاد وصف النبي ﷺ بنفس هذه الأوصاف ، فهل يقول قائل أن ما وصف الله به القرآن هو من جنس ما وصف به النبي ﷺ؟

فإن كانت الإجابة بنعم ، فنقول لهم أنكم قد وصفتم كلام الله بما لا يجوز له من أوصاف. لأن مقتضى هذا الزعم أنه يمكن أن تُحذف هذه الآيات الواردة في حق النبي ﷺ دون أن يختل معنى القرآن ولا بلاغته ولا إعجازه. ومن قال بهذا فقد كفر بالله العظيم.

وإن كانت الإجابة بـ "لا" ، قلنا : فماذا عسى أن تكون دلالة هذه الآيات الكريمة إلا على حجية السنة النبوية الشريفة في التشريع الإسلامي بجوار القرآن الكريم!

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إثبات النبوات ..

بقلم د. elserdap

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رائعته إثبات النبوات: «**ليست المعجزة هي الشرط الأوحد للنبوة فمُدعي النبوة إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين وقد أسلم السابقون الأولون أمثال أبي بكر الصديق وخديجة والمُبشَّرون قبل انشقاق القمر والإخبار بالغيب والتحدي بالقرآن ..**»، ويقول رحمه الله: «**وكثير من الناس يعلم صدق المُخبر بلا آية البتة ..وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر وقال لهم إن الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يُظهر لهم الآيات .. وكذلك النبي لما ذكر حاله لخديجة وذهبت به إلى ورقة بن نوفل.. قال هذا هو الناموس الذي يأتي موسى.. وكذلك النجاشي.. وأبو بكر علموا صدقه علما ضروريا لما أخبرهم بما جاء به وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علما ضروريا بأنه صادق.. وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به قرائن يُعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عُرف بصدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا مَن هو أصدق الناس أو أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني**»(١)؛ يقول الأُستاذ علي عزت بيجوفيتش: «**والقراءة المتأنية للأديان تُشعر أن هناك اتفاقا مُسبقا تم في مكان ما بين موسى وعيسى ومحمد**» أو بتعبير النجاشي: «**إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة**».

وفي تصنيف هيجل للأديان اعتبر الإسلام استمرارا لليهودية وقالت مرسيا إليادي إن محمدا يقف على حافة سيادة المسيحية وبداية العصر العلماني الحديث بمعنى أنه يقف في النقطة البؤرية للتوازن التاريخي؛ فالنبي محمد ﷺ يأتي على مفترق طريق التحول من المرحلة الثانية إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل التحول الروحي للجنس البشري وهذا ما قالته مرسيا إليادي في كتابها أنماط الأديان المقارنة.

فالأنبياء ولا جدال قاموا بدور رئيس في تاريخ الإنسانية ومن خلال الأنبياء فحسب أصبح الإنسان محورا للتاريخ ... ومن خلال الأنبياء فحسب تأكد سمو الإنسان وقيمته ومركزيته.

ومنهج القرآن في إثبات النبوات هو أعظم المناهج وأنقاها بعيدا عن الطُرق الكلامية والفلسفية التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع ولذا يعترف الرازي في آخر مصنفاته قائلا: **لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج**

الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

نهاية إقدام العقول عقال

وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا

وغاية دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا»(٢)

وكما استخدم القرآن في إثبات وجود الله دليل العناية ودليل القصد ودليل الاختراع ودليل السببية (٣) وهي الأدلة السهلة الممتنعة التي لا تُقيم بعدها قولا لقائل فقد استخدم القرآن دليل التحدي ودليل المقارنة ودليل الإخبار بالغيب ودليل خرق العادة وغيرها من الأدلة في إثبات النبوات مما هو مبسوط في مواضعه.

وقبل أن يبدأ التحدي لابد أن يمتلك القوم الذين أُرسل فيهم النبي ناصية ما يتحداهم بهم ويكونون فيه المرجع بل والحَكَم حتى إذا ما انتصر عليهم كانوا هم الحاكمين على أنفسهم بالخيبة !

ولما سمع الوليد ابن المغيرة من النبي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل٩٠] قال : والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر وما هو بقول بشر . فقد رق قلبه وقال والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا .. ولذا اجتمعت كلمة وفود العرب على ألا يسمعوا للقرآن ولا يُسمعوه أهليهم واعتبروا أن هذا هو السبيل الوحيد لمقاومة التحدي بمثل هذا القرآن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[فصلت٢٦]، فقد جاء القرآن في درجة من البلاغة لم يُعهد مثلها في تراكيب العرب وكانت فصاحة العرب أكثرها في وصف المشاهدات والغزل والتغني بالأمجاد وكان الشاعر الذي يتقن المديح يضعف عند غيره والقرآن جاء فصيحا في كل فن على نفس المستوى والنسق وجاء القرآن للتأسيس لمنهج حياة في الاقتصاد والسياسة والعبادة وما يُحسن الدين والدنيا دون أن يخرج عن قالبه البلاغي، يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم ص ٢١ :- «**القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لأحد من الخلق وإنما هو منزل من عند الله بلفظه ومعناه ومن العجب أن يبقى بعض الناس في حاجة إلى الاستدلال على الشطر الأول من هذه المسألة وهو أنه ليس من عند محمد، فالحق أن هذه القضية لو وجدت قاضيا يقضي بالعدل لاكتفي بسماع هذه الشهادة التي جاءت بلسان صاحبها على نفسه وأي مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة أي مصلحة له كي ينسب بضاعته لغيره ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدا يعارضه ويزعمها لنفسه .. بل وشهد الرسول على نفسه بالعجز** ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس١٦]».

ودعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد وسبيلهم واحد ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قبلك﴾ سورة [فصلت ٤٣].. غاية دعوتهم أن ﴿اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف ٥٩] .. غاية دعوتهم «**اسمع يا إسرائيل أعظم الوصايا الرب إلهنا رب واحد**»(٤) أو بلفظ القرآن ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فالإسلام هو أنقى أديان التوحيد كما يقول جوستاف لوبون والنبوة لا يقول بها إلا أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين ولا يُلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين كما قال شيخ الإسلام رحمه الله.

الهامش

١- ثبوت النبوات عقلا ونقلا ص ٥٧٣.... شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د.محمد يسري سلامه دار ابن الجوزي

٢- المرجع السابق ص ٣١٨

٣- قام الشيخ نديم الجسر رحمه الله ببسط هذه الأدلة وشرحها بالتفصيل في كتابه الرائع قصة الإيمان

٤- مرقص ١٢-٢٩

الأخذ المعرفي عبر الشبكة العنكبوتية

(ضوابطه)
(فوائده)
(مزالقه)

بقلم الأستاذ. أبو عمر العطاب الهمبري

قد باتتِ الشبكةُ أمراً لا مفرَّ منه لكلِّ أطياف الناس وشرائحهم المختلفة، وغدت جسرَ تواصلٍ بين الأمم والشعوب والأعراق وغيرها...

ومع تنوع الموارد العلمية لطالب المعرفة أضحت الشبكةُ أيضاً أحدَ الموارد لكثير من طلاب المعرفة ورافداً لا يستهانُ به في الأخذ المعرفي والتبادل الثقافي...

وحينما أتناولُ الأخذَ المعرفي بالحديث فذلك لخطورة هذا الأمر على الشَّبَيبةِ المسلمةِ لا سيَّما من هم في طور التكوين العلمي ، وعليه فكلامي ليس موجهاً لمن يملكُ الغربلةَ العلمية والفكرية ولديه قدرة المتلقي الناقد وإنما أوجِّه كلامي لمن ليس لديه خلفيةٌ ثقافيةٌ يستندُ عليها في تمحيص المعتقدات والأفكار المطروحة على الشبكة...

وعلى الشَّاب المسلم إدراكُ أنَّ الخلفيةَ الثقافيةَ الصحيحةَ يجبُ أنَّ تتشكَّل من مجموعةٍ من المعتقداتِ الأثريةِ والأفكار السَّوية التي تصنع بدورها حصانةً من ساقط القول وفاسدِه...

وأما إذا غدا الشَّابُ غيرَ حريص على تحصين خلفيته الثقافية فسيتسَلَّلُ إلى مخزونه المعرفي معتقداتٌ خبيثةٌ قد تكون سبباً في إيجاد خلفيةٍ ترى في الإسلام حجرَ عثرةٍ ومصدرَ تخلُّف عن ركبِ الحضارةِ المزعوم...

ومن الضوابط التي تضبط الأخذ المعرفي أنْ يكون مؤطراً في أهل العلم المؤتمنينَ في دينهم وعلمهم حتى إذا اكتملت الحصانةُ العلميةُ للطالب فَلَهُ حينها- إن شاء - أن يطَّلعَ على النتاج العلمي والفكري للآخر، كما أن الأخذ المعرفي يجب أن يندرجَ تحتَ جدول يحدده الآخذُ والتنظير له قد يصعب لاعتبار يدركه الآخذ... فالطالب

الذي يعيش في كنَف ـ بلدٍ يحفلُ بالعلماء ويزخَرُ بطلبةِ العلم لا يشكِّلُ له الأخذ المعرفي عبر الشبكة مرتبةً أولى كطالب يعيش في بلدٍ لا يرى فيه أهلَ علم وإن وجدوا فأهل خرافةٍ وزيغ وضلال...فالأخذ المعرفي للأول ثانوي، وللثاني أساسي ومهم، كما أنَّ الأخذ يجب أن يتوافقَ مع الكمِّ المعرفي الذي لدى الآخذ حيث يتناسبُ مع قدراته العلمية... فطالب في مرحلة الدكتوراه يبحث في مسألة فقهية دقيقة في الشبكة ويجمع الأبحاث والدراسات فيها يختلف عن طالب يبحث عن حكم المسح على الخفين .. فليس السبيل الصحيح أن يطوِّح طالبُ المعرفةِ في كل فنٍّ ويتعمقَ فيه وهو ما زال في باكورة الطلب.

ولا شكَّ أنَّ للأخذ المعرفي عبرَ الشبكة فوائدُ عديدةٌ منها أنه يُثري مخزونَ طالب المعرفة العلمي كونه يطَّلِعُ على المدارس العلمية والفكرية المنضبطة عبر الشبكة..

كما أنه يُسهِمُ في اطلاع طالب المعرفة على الأسفارِ العلمية في مجال تخصُّصه أو في غير تخصصه ممَّا لا يمكنه الحصولُ عليه لقلةِ ذاتِ اليد أو لأمرٍ آخر...

كما أنَّ التبادلَ الثقافي والعلمي مع أهل الاختصاص يديرُ عجلةَ الفكرِ ويقدحُ زنادَ النظرِ والتأمل...

وكذلك يُسهِم الأخذ المعرفي في تصحيح كثير من المفاهيم الضَّالة السائدة لدى البعض فيرى الآخذُ الأدلةَ الصحيحةَ التي تنقُضُ ذلك المفهومَ وتصحِّحه...

وتبقى الإشارة إلى مزالق الأخذ المعرفي عبر الشبكة ويحتلُّ المزلقُ العقديُّ الصدارةَ بعد المزلقِ السلوكي الأخلاقي...

وذلك أنَّ زعزعةَ الجانب العقدي بمثابةِ زعزعةِ وجود المرء نفسه فالعقيدة كالروح للجسد ولا شك...

فعلى طالب المعرفة أن يكون حذراً في أخذه المعرفي من هذه الحيثية...فليس كلُّ ما يلمع ذهباً وليس كلُّ من تسمَّى بالسنة أو السلفية يكون كما ادَّعى... وليس كلُّ من ادَّعى التنوير أو دعا إلى إنارةِ النصوص الشرعية في قالب التجديد المزعوم يكون على هدى ورشاد...

وفي نظري أنَّ أخطر مزلقٍ عقدي عبر الشبكة هو المزلقُ الإلحادي - والعياذ بالله - فكم وَقَعَ في شَرَكِ الإلحاد فئامٌ من الشباب لا يعلمهم إلا الله فغدا أحدُهُم ينكر خالقَه فاطرَ السموات والأرض ، فالشبهاتُ التي يلقيها أهلُ الإلحادِ والزندقةِ في مواقعهم النتنة أو مدوَّنات بعضهم - من العابثين والعابثات - قد تجد تُربةً خصبةً عند بعض الشَّبيَبَة لا سيَّما من لديهم هشاشةُ حصانةٍ عَقَدِية فتستحكمُ الشبهةُ وتتمكَّنُ من خافق الشَّاب وتتجذر فتورقُ الكفرَ والزندقة...

فحذارِ ثمَّ حذارِ من المواقع والمدوَّنات الإلحادية الطافحةِ بأنوع الكفر والنفاق...

الإلحادُ مطيةٌ لتحقيق شهوات وملذَّات الملاحدة الجسمية ، فهي قنطرةٌ لنيل ما يصبونَ إليه ليس إلا

فدعوى الملاحدة تصبُّ في مصلحة سيدهم إبليس الذي يديرهم كما يديرُ الطفلُ لعبته بجهازِ التَّحكم عن بعد...

وأخيراً على الطالب أن يقصد وجه الله في كلِّ ما يأخذُ وما يذرُ حتى تتجلى البركةُ على أقواله وأفعاله ، فالإخلاصُ سبيلُ الخلاص ، والله جلَّ في عُلاه يجعلُ للمخلصِ ما لا يجعله لغيرِه والحمد لله رب العالمين.

قسم العقيدة والتوحيد

العقيدة ..
الأسماء والصفات ..
التوحيد ..

قسم الحوار عن الإسلام

القضايا المتعلقة بالإسلام
وتحدياته ووسائل نشره
وتطبيقه والشبهات المثارة
حوله

قسم الحوار عن المذاهب الفكرية

مناظرات ومحاورات
للمذاهب الفكرية
المادية والإيديولوجيات
المعاصرة

قسم الحوارات الخاصة

حوارات خاصة للمسلمين الجدد
.. أو أصحاب الشبهات ..
المواضيع لا يراها إلا صاحب
الموضوع والإدارة والمرشحين
للحوار

جميع الحقوق محفوظة لموقع منتدى التوحيد، لتواصلكم واقتراحاتكم زوروا منتدانا